كتاب جيل جديد السابع عشر

حدائق موراكامي 2

فتاة عيد الميلاد وقصص أخرى

ترجمة: محمد عبدالعاطي عبدالخير

PDF

مسافر الصُدف

Chance Traveler

تجدر بكم معرفة أن ضمير المتكلم هنا المقصود به أنا، هاروكي موراكامي كاتب هذه القصة. غالبية السرد ستكون بضمير الغائب، لكن الراوي يظهر هنا في البداية، تماماً كإحدى تلك المسرحيات الكلاسيكية القديمة حيث يقف الراوي أمام الستار، ويقدم تمهيداً، ثم ينحني وينسحب من المسرح. أقدر لكم صبركم وأعدكم بأنني لن أستغرق وقتًا طويلاً.

ما دعاني للظهور هنا هو أنني ظننت أنه من الأفضل أن أروي عددًا مما يسمى بالوقائع الغريبة التي حدثت معي. في الواقع، مثل هذه الأشياء تحدث كثيرًا،بعضها كان هامًا وأثر على حياتي بطريقة أو بأخرى. والبعض الآخر لم يكن ذا أهمية ولم يترك أثرًا على الإطلاق، أو على الأقل هذا ما أظنه.

كلما ذكرت هذه الحوادث، لنقل مثلاً بين مجموعة، لا تثير الكثير من ردود الأفعال. يدلي معظم الحاضرون بتعليقات لا تشير إلى موقف محدد، ولا أكثر من ذلك. لا تبث طاقة جديدة في الحوار، أو تستحث شخصًا آخر على ذكر واقعة مشابهة حدثت معه. يكون الموضوع الذي أثيره مثل كميات كبيرة من المياه تتدفق في المسار الخاطئ، ويتم امتصاصها في أرض رملية لا اسم لها. يلزم الجميع الصمت لبرهة من الوقت، ثم يقوم أحدهم بتغيير الموضوع.

في البداية ظننت أنني كنت أروي القصة بطريقة خاطئة. لذلك، في إحدى المرات، حاولت كتابتها كمقال، اعتقادًا مني أن ذلك قد يحمل الناس على أخذها على محمل الجد. لكن لا أحد بدا لي أنه يصدق ما كتبته، *"لقد اختلقت كل هذه القصة، صحيح؟"* لا أدري عدد المرات التي سمعت فيها ذلك. بما أنني روائي يفترض معظم الناس أن كل ما أقوله أو أكتبه لابد أن تشوبه مسحة من الخيال أو الإدعاء. أسلّم بذلك، تحتوي كتاباتي الأدبية على أكثر من حصتها من الخيال والابتداع، لكن عندما لا أكون اعمل على كتابة قصة، لا أكلف نفسي عناء اختلاق قصص لا معنى لها.

كنوع من التمهيد لحكاية، أود أن اسرد باختصار بعض التجارب الغريبة التي مررت بها وسوف التزم بالأحداث التافهة قليلة الأهمية، إذا شرعت في الحديث عن التجارب التي غيرت مسار حياتي، فلن تكفيني مساحة هذه القصة.

*

أقمت في كامبريدج، ماساتشوستس في الفترة ما بين 1993 إلى 1995 ككاتب زائر في كلية. كنت أعمل على كتابة رواية بعنوان: يوميات الطائر الآلي. كان ثمة نادٍ للجاز في ساحة هارفارد، اسمه نادي ريغاتابار للجاز، حيث كانوا يقيمون الكثير من العروض الحية. كان مكانًا دافئًا ومريحًا عزف فيه أشهر موسيقي الجاز، وقد كان رسم الدخول معقولاً.

ذات مساء، ظهر تومي فلاناغان مع فرقة عازفيه الثلاثية. كانت زوجتي منشغلة بأمر ما، لذلك ذهبت لوحدي. تومي فلانغان أحد عازفي الجاز المفضلين لدي دائمًا ما يظهر كعازف مصاحب، ويتسم أداءه بالعمق والدفء والانسجام، وعزفه

المنفرد أكثر من رائع. جلست إلى طاولة بالقرب من المسرح مترقبًا بحماس واستمتعت بكأس من ميرلوت كاليفورنيا ولأصدقكم القول، خيب أداءه ظني قليلاً ربما لم يكن يشعر بأنه على ما يرام، أو أن الوقت لا زال مبكرًا ليدخل في أجواء الحفل، لم يكن عزفه سيئًا، بيد أنه كان ينقصه ذلك العنصر الإضافي الذي يحلق بنا في عالم آخر. أو يمكنكم القول بأنه كان يفتقر لذلك التوهج السحري.

تومي فلاناغان أفضل من هذا، قلت مخاطبًا نفسي، انتظر فحسب حتى يصل قمة مستواه.

لكن الأمور لم تتحسن بمرور الوقت، وبدأ يجتاحني نوع من الشعور بالذعر آملاً ألا ينتهي العرض على هذا النحو. أردت شيئًا لأتذكر به أداءه وإذا انتهى العرض هكذا، لن ترسخ بذهني سوى ذكريات فاترة، وقد لا أتذكر شيئًا إطلاقًا. وقد لا تسنح لي الفرصة لمشاهدة تومي فلاناغان يؤدي أداءً حيًا مجددًا (في الواقع لم أشاهده ثانية) فجأة خطرت لي فكرة: ماذا لو أتيحت لي الفرصة لأطلب منه عزف أغنيتين الآن؟ أي أغنيتين كنت لأختار؟ قلبت الأمر في ذهني قبل أن اختار "باربادوس" و "ستار كروست لفرز".

المقطوعة الأولى لتشارلي باركر، والثانية لديوك إلينغتون. أوضح هذا لمن هم ليسوا من عشاق الجاز، فهاتين المقطوعتين ليستا شهيرتين أو تُعزفان كثيرًا. قد تسمعون "باربادوس" من حين لآخر، مع أنها من أقل مقطوعات تشارلي باركر بريقًا، وأراهن أن معظم الناس لم يسمعوا "ستار كروست لفرز" ولو لمرة. ما أود قوله هو أن هذين الخيارين لم يكونا تقليديين.

لدي أسبابي بالطبع، لاختياري هاتين المقطوعتين غير المحتملتين لطلباتي الخيالية، أهمها أن تومي فلاناغان لديه تسجيلات خالدة لهاتين المقطوعتين.

ظهرت باربادوس في ألبوم دايل جي جي فايف عام 1957 عندما كان عازف بيانو مع فرقة جي جي جونسون الخماسية. بينما سجل ستار كروست لفرز في ألبوم إنكاونتر عام 1968 مع بيبر آدمز، و زوت سيمز.

عزف وسجل تومي فلاناغان عددًا لا يحصى من المقطوعات كعازف فرقة مع مجموعات مختلفة على امتداد مسيرته الطويلة. لكن ما أحببته دومًا هو عزفه المنفرد الخرافي في هاتين المقطوعتين مع قصر مدته، ولهذا كنت أفكر أنه سيكون من الرائع إذا أدى هاتين المعزوفتين الآن.

كنت أراقبه عن كثب، وأتصوره يقترب من طاولتي ويسألني: "يا هذا كنت أراقبك، ألديك أي طلبات؟ لم لا تعطني اسمي معزوفتين تود مني أن اعزفهما؟" مع أنني كنت أعرف، طوال الوقت، أن فرص حدوث ذلك معدومة.

وبعد ذلك، و دون أي كلمة، أو حتى مجرد التفاتة ناحيتي، بدأ تومي فلاناغان في عزف مقطوعتيه الأخيرتين - المقطوعتين عينهما اللتين كنت أفكر بهما. بدأ بأغنية ستار كروست لفرز، ثم انتقل إلى باربادوس بإيقاع سريع، تسمرت في مكاني ممسكًا بكأس النبيذ، فاقدًا القدرة على النطق. سيعرف عشاق الجاز أن احتمال اختياره لهاتين المعزوفتين كان ضئيلاً للغاية والنقطة الأهم هنا، أن أداءه للمعزوفتين كان مذهلاً.

*

وقعت الحادثة الثانية في وقت قريب من الأولى، وهي أيضًا متعلقة بالجاز. ذات مساء، كنت في متجر للاسطوانات المستعملة بالقرب من معهد بيركلي للموسيقى، أتفقد الاسطوانات. التنقيب بين رفوف الاسطوانات الطويلة القديمة من الأشياء القليلة التي تجعل الحياة تستحق العيش، بالنسبة لي على الأقل. في ذلك اليوم

بالتحديد، عثرت على تسجيل لبيبر آدمز لأغنية اسمها "تن تو فور" بنادي فايف سبوت، كان تسجيلاً لفرقة بيبر آدمز الخماسية مع دونالد بيرد على الترومبيت. سجلت في نيويورك بنادي فايف سبوت للجاز و 10 تو 4 بالطبع تعني الرابعة إلا عشر دقائق، أي أنهم كانوا يعزفون مجموعة مثيرة من الأغاني استمرت حتى الفجر. كانت نسخة أصلية من الألبوم، وفي حالة جيدة، بسعر سبعة أو ثمانية دولارات فقط. كنت امتلك النسخة اليابانية من الاسطوانة وقد تخدشت بكاملها من كثرة استماعي لها. إيجاد تسجيل أصلي بهذه الحالة الجيدة، وبهذا الثمن، بدا لي- بشيء من المبالغة- كمعجزة صغيرة. غمرتني البهجة وأنا اشتري الاسطوانة وأثناء خروجي من المتجر، مرّ بجانبي شاب وسألني: "ما الوقت الآن؟" نظرت إلى ساعتي وأجبت آلياً: " الرابعة إلا عشر دقائق"

بعدما قلت ذلك، أدركت المصادفة، و ازدردت ريقي متسائلاً.. ما الذي يحدث بحق السماء؟ هل يحوم إله الجاز في سماء بوسطن، يغمز لي مبتسماً ويقول: (يا إنتَ، حبيت الحركة دي، مُش كدا؟)

*

كلتا الحادثتين لم تكونا مميزتين، ليس وكأنهما قد غيرتا مسار حياتي كل ما في الأمر هو أنني صُعقت بالمصادفتين الغريبتين، وأن مثل هذه الأشياء تحدث.

لا تفهموني بطريقة خاطئة، فأنا لست مهووسًا بالظواهر الغامضة وقراءة الحظ لا تعني شيئًا بالنسبة لي. بدلاً عن تكبد عناء الذهاب إلى قارئ حظ ليقرأ راحة يدي اعتقد أنني أفضل أن اعتصر ذهني لإيجاد حل للمشكلة، أيًا كانت. ليس وكأنني امتلك عقلاً لامعًا أو ما شابه، لكن تلك تبدو وسيلة أسرع لإيجاد الحلول. كما لا

أهتم بما يسمى بالقوى الخارقة أيضًا، تناسخ الأرواح، الروح، الهواجس التخاطر عن بعد، نهاية العالم، كل ذلك لا يعنيني كثيرًا. لا أقول أنني لا أؤمن بأي من هذه الظواهر، لا مشكلة لدي إذا كانت موجودة بالفعل، لكنني شخصيًا غير مهتم بها. مع ذلك، فإن عددًا من الحوادث الغريبة غير المتوقعة صبغت حياتي المملة الباهتة بالألوان.

القصة التي بصدد روايتها هنا، اخبرني بها صديق لي، حدث أن قصصت عليه الحادثتين السابقتين، لبث بعدها جالسًا في مكانه دون حراك لبرهة، ترتسم على وجهه نظرة جادة.

ثم قال أخيرًا: "أتعرف، حدث معي أمر مشابه لذلك أيضًا، أمر قادتني الصدفة إليه لم يكن أمرًا غريبًا تمامًا، لكنني لا استطيع تفسيره. على أي حال، أخذتني سلسلة من المصادفات إلى مكان لم أتوقع التواجد به قط"

قمت بتغيير بعض الحقائق لإخفاء هويات بعض الأشخاص، لكن عدا عن ذلك فإن القصة كما اخبرني بها تمامًا.

*

يعمل صديقي مدوزن بيانو، ويعيش في الجزء الغربي من طوكيو بالقرب من نهر تاما، في الحادية والأربعين من عمره، وشاذ جنسيًا، ولا يتعمد إخفاء حقيقة كونه شاذًا، لديه *بوي فريند* يصغره بثلاثة أعوام ويعمل في مجال العقارات وبسبب عمله لا يخرج كثيرًا، لذلك يعيشان منفصلين. قد يكون صديقي مدوزن بيانو متواضع، لكنه تخرج في قسم البيانو بكلية موسيقى، وعازف بيانو مثير للإعجاب. تكمن مواطن قوته في أعمال الموسيقيين الفرنسيين المعاصرين دوبوسي، ورافيل، و إريك ساتيه ويعزف مقطوعاتهم بشغف عظيم، لكن فرانسيس بولينك هو المفضل لديه.

أوضح لي ذات يوم: "كان بولينك شاذًا، و لم يحاول إخفاء الأمر وقد كان ذلك أمرًا صعبًا في تلك الأيام، وقد قال ذات مرة : 'إذا استبعدت كوني مثليًا فإن موسيقاي ما كانت لترى النور '، أعرف ما يعنيه تمامًا، كان عليه أن يكون صادقًا مع مثليته كما مع موسيقاه. هذه هي الموسيقى، هذه هي الحياة"

لطالما أحببت موسيقى بولينك أيضًا ، عندما يحضر صديقي ليدوزن البيانو القديم الخاص بي، أحيانًا اطلب منه عزف بعض مقطوعات بولينك القصيرة عندما يفرغ من عمله. ذا فرينش سويت، ذا باستورال، وما إلى ذلك.

/*كتشف* أنه شاذ بعد دخوله كلية الموسيقى. قبل ذلك لم يفكر في الأمر قط. كان وسيمًا، وحسن التنشئة، هادئ الطباع، وذو شعبية بين الفتيات في مدرسته الثانوية. لم تكن له حبيبة إطلاقًا، بيد أنه كان يخرج في مواعيد مع عدة فتيات، كان يحب السير إلى جوار فتاة وتأمل تصفيفة شعرها عن كثب، وتنشق العطر الذي يعبق من عنقها، وإمساك يدها الرقيقة، لكنه لم يجرب الجنس قط. بعد عدة مواعيد مع فتاة يبدأ بالشعور بأنها تأمل منه أن يأخذ زمام المبادرة ويفعل شيئًا لكن لم يكن بمستطاعه اتخاذ الخطوة التالية، لم يشعر بأي شيء بداخله يدفعه لفعل ذلك. كل الشباب حوله، دون استثناء، كانوا يصارعون شياطينهم الجنسية. قاومها بعضٌ منهم، والبعض الآخر انغمس وغاص عميقًا. إلا أنه لم يشعر بهذه الرغبات، خمّن: ربما يستغرق الأمر وقتًا أطول معي، أو ربما لم ألتق بالفتاة المناسبة بعد.

في الكلية واعد فتاة بقسم آلات القرْع، استمتعا بالحديث مع بعضهما البعض وكانا يشعران بالتقارب كلما خرجا معًا. بعد مضي وقت ليس بالطويل من لقائهما مارسا الجنس في غرفتها. كانت هي من استدرجته للفعل، تناولا بضعة كؤوس من الشراب، وسارت العملية بسلاسة. إلا أن الأمر، بالنسبة له، لم يكن بالروعة

والإثارة التي يتحدث عنها الجميع. في الواقع، وجده شاقًا وغريبًا على نحو منفر. كان يفضل مجرد الحديث العزف معًا، مشاركة وجبة. بمرور الوقت، أصبحت ممارسة الجنس معها عبئًا ثقيلاً.

مع ذلك، كان يعتقد أنه لا يكترث لأمر الجنس فحسب لكن ذات يوم . . . لا دعني أتخطى هذا الجزء، سوف يستغرق وقتًا طويلاً، كما أنه ليس وثيق الصلة بالقصة التي أريد أن أرويها. دعنا نقول أن شيئًا ما قد حدث واكتشف على إثره أنه – بما لا يدع مجالاً للشك- مثلي لم يرغب في اختلاق الأعذار، لذلك صارحها مباشرة. انتشر الخبر بين جميع أصدقاءه خلال أسبوع، فقد بعضًا منهم، واحتقنت علاقته بوالديه. لكن في نهاية المطاف، من الأفضل أن كل شيء قد أصبح مكشوفًا، فهو لم يكن من النوع الذي يخفي حقيقته.

إلا أن أكثر ما آلمه ، هو تأثير إعلانه هذا على علاقته بشقيقته، أقرب أفراد أسرته إليه، والتي تكبره بعامين، عندما سمعت عائلة خطيبها بالأمر كادوا أن يلغوا الزواج، مع أنهم تمكنوا من إقناع والدي الرجل وتزوجا أخيرًا، أوشك أن يسبب الأمر برمته انهيارًا عصبيًا لشقيقته، التي أصبحت ناقمة عليه، صرخت به: لماذا اخترت هذا الوقت من حياتي لتثير هذه الزوبعة؟ دافع شقيقها عن نفسه ، بطبيعة الحال ثم تجافيا، حتى انه لم يحضر حفل زفافها.

بصفة عامة، استمتع بحياته كرجل شاذ يعيش لوحده، وقد أحبه معظم الناس عدا عن أولئك الذين يشعرون بنفور فطري من الشواذ ، فهو كان أنيقًا في ملبسه ولطيفًا، وشهمًا، ولديه حس الدعابة، وابتسامة جذابة، وقد كان بارعًا في عمله ولديه قاعدة عريضة من الزبائن، ودخل مستقر وكان عدد من عازفي البيانو الشهيرين يصرون على أن يدوزن هو آلاتهم. أخذ قرضًا لشراء شقة مكونة من غرفتين على مقربة من الجامعة وشارف على سداد الرهن. يمتلك نظام ستريو

باهظ الثمن، بالإضافة إلى أنه كان طاهيًا ماهرًا، ويحافظ على لياقته بارتياد الصالة الرياضية خمس مرات في الأسبوع. بعد الخروج مع عدة رجال، التقى بشريكه الحالي وحظيا بعلاقة مستقرة لحوالي عقد من الزمان.

في أيام الثلاثاء، كان يعبر نهر تاما ليذهب إلى مول بمقاطعة كاناغاوا وهو يقود سيارته الـ هوندا الرياضية الخضراء ذات السقف القابل للطي والناقل اليدوي. توجد بالمول جميع المتاجر المعروفة: ذا غاب، تويز آر إس، ذا بودي شوب. يكون المكان مكتظًا في عطلات نهاية الأسبوع لدرجة يصعب معها إيجاد مكان لركن سيارته، لكنه يكاد يكون مهجورًا خلال الأسبوع في الفترة الصباحية. يتجه إلى متجر عملاق لبيع الكتب في المول، ويبتاع كتابًا لفت نظره، ثم يسترخي لبضع ساعات في مقهى يرتشف القهوة ويقرأ. كان يمضي أيام الثلاثاء على هذا المنوال. قال لي: "المول ممل، باستثناء المقهى، فهو مكان صغير ومريح للغاية مررت به مصادفة، لا يشغلون أي موسيقى، والتدخين فيه ممنوع، المقاعد مثالية للقراءة ليست صلبة ولا هي وثيرة جدًا ولا يتواجد به أي مخلوق إطلاقاً. لا أتخيل أنك ستجد كثيرًا من الناس يتوجهون إلى مقهى في صباح يوم ثلاثاء، حتى إذا وُجدوا فإنهم على الأرجح سيذهبون إلى متجر ستاربكس مجاور."

إذًا فهو كان يمضي أيام الثلاثاء في ذلك المقهى، غارقًا بين دفتي كتاب منذ ما بعد العاشرة بقليل حتى الواحدة. بعدها يتجه إلى مطعم مجاور ويتناول غداءً مكون من سلطة التونة والبيريه، ثم يذهب إلى الصالة الرياضية. هذا هو يوم الثلاثاء المعتاد.

*

في صباح الثلاثاء ذاك تحديدًا، كان يقرأ كالعادة، في المقهى الخالي تقريبًا. يقرأ رواية المنزل الموحش لتشارلز ديكنز، كان قد قرأها من قبل عدة مرات وعندما لمحها على أحد رفوف الكتب، قرر أن يحاول قراءتها مجددًا، يتذكر بوضوح أن قراءتها كانت ممتعة، إلا أنه- مهما اعتصر ذهنه- لم يستطع تذكر الحبكة، لطالما كان ديكنز أحد كتابه المفضلين فقراءة أعماله تجعل العالم يتلاشى من حوله، وجد نفسه أسيرًا للقصة من الصفحة الأولى.

بعد ساعة من القراءة بتركيز، شعر بالتعب وأغلق الكتاب ووضعه على سطح طاولته، أشار للنادلة لتعيد ملء كوبه، ثم ذهب إلى دورة المياه خارج المقهى وعندما عاد إلى مقعده، وجد امرأة جالسة إلى الطاولة المجاورة له، وكانت تقرأ أيضًا.

قالت: "المعذرة، هل تمانع إذا سألتك سؤالاً؟"

علت وجهه ابتسامة غامضة وهو ينظر إليها، كانت في نفس عمره تقريبًا.

أجاب: "بالطبع"

"أعلم أنه لا يليق أن أتحدث معك هكذا، لكن هناك أمر كنت أتساءل بشأنه" قالت ووجهها يتورد قليلاً.

"لا بأس، لست في عجلة من أمري. اسألي على الفور"

"هل يصادف أن يكون هذا الكتاب الذي تقرأه لديكنز؟"

"إنه كذلك" قال وهو يلتقط الكتاب ليريها إياه "المنزل الموحش"

قالت بارتياح باد: "هذا ما اعتقدته، لمحت الغلاف وظننت أنه قد يكون هذا الكتاب"

"هل أنتِ من معجبي المنزل الموحش أيضًا؟"

"نعم. ما أعنيه هو أنني كنت اقرأ الكتاب عينه وأنا جالسة إلى جوارك بالصدفة" نزعت الغلاف الورقي عن الكتاب و أرته الغلاف.

كانت مصادفة مفاجئة بلا شك.. تخيل، صباح أحد أيام منتصف الأسبوع، في مقهى مهجور يقبع في مول مقفر، يصادف أن يجلس شخصان بالقرب من بعضهما البعض، يقرآن الكتاب نفسه، والذي لم يكن من تلك الكتب الأكثر مبيعًا حول العالم بل كان لتشارلز ديكنز. كما لم يكن أحد أعماله المعروفة. فاجأتهما هذه المصادفة المذهلة، وفي الوقت عينه ساعدتهما في التغلب على حرج اللقاء الأول.

كانت المرأة تقطن مجمعًا سكنيًا جديداً على مقربة من المول. اشترت كتاب المنزل الموحش قبل خمسة أيام من متجر الكتب نفسه. وعندما جلست في المرة الأولى في هذا المقهى لتطلب كوبًا من الشاي، وفتحت الكتاب، وجدت نفسها عاجزة عن التوقف عن القراءة، ومرت ساعتان دون أن تشعر. لم تستغرق في القراءة هكذا منذ أن كانت في الجامعة.

كانت صغيرة الحجم، ومع أنها لم تكن بدينه، إلا أنها كانت قد ابتدأت في اكتساب الوزن في المناطق المعتادة، ذات نهدين كبيرين ووجه جذاب تشي ملابسها بحسن الذوق وتبدو باهظة الثمن قليلاً. تحدثا قليلاً، كانت المرأة عضوًا في نادي كتاب. وصادف أن كتابهم في ذلك الشهر هو المنزل الموحش، كانت إحدى النساء في النادي تكن إعجابًا كبيرًا لديكنز واقترحت هذه الرواية. كان لدى المرأة في المقهى طفلتين (واحدة بالصف الثالث، والأخرى بالصف الأول) وغالبًا ما تجد صعوبة في إيجاد الوقت للقراءة. إلا أنها أحيانًا تتمكن من مغادرة المنزل وتستقطع بعض الوقت. معظم الذين كانت تتعامل معهم يوميًا كن أمهات زملاء طفلتيها بالمدرسة ولا تخرج مواضيع النقاش معهن عن المسلسلات الدرامية على التلفاز والنميمة حول أساتذة أطفالهن، لذلك انضمت لنادي الكتاب المحلي. كان

زوجها مولعاً بالقراءة في ما مضى، إلا أن العمل يبقيه مشغولاً لدرجة أنه يكون محظوظًا إذا وجد وقتًا لتصفح بضعة كتب خاصة بإدارة الأعمال بين الفينة والأخرى.

اخبرها القليل عن نفسه، أنه يعمل مدوزن بيانو، و يسكن على الضفة الأخرى من نهر تاما، وعازب، ويحب هذا المقهى الصغير لدرجة أنه يقود سيارته كل هذه المسافة فقط ليجلس ويقرأ. واغفل ذكر كونه شاذًا ، لم يخفِ ذلك متعمدًا، فهو لم يكن أمراً تخبر به أي أحد.

تناولا الغداء معاً في أحد مطاعم المول. كانت المرأة من ذلك النوع الصريح والمنفتح. ما أن شعرت بالاسترخاء، أخذت تضحك كثيرًا ضحكات عفوية هادئة. كان بمقدوره تخيل الحياة التي كانت تعيشها حتى تلك اللحظة دون أن تحدثه عنها. كانت الابنة المدللة لعائلة ثرية في سيناغايا، درست في جامعة مرموقة وكانت تحصل على درجات جيدة كما كانت لديها شعبية (بين الفتيات أكثر من الفتيان ربما) متزوجة برجل يكبرها بثلاث سنوات ويتقاضى راتبًا جيدًا ، لم تكن سنوات زواجها الإثني عشر كلها سعادةً و حبورًا، كما ليس لديها ما تتذمر بشأنه بشكل خاص. تناولا غداءً خفيفًا وتحدثا عن الكتب التي قرآها مؤخرًا، والموسيقى التي يحبانها. تحدثا لحوالي ساعة.

"لقد استمتعت بوقتي" قالت المرأة، وتورد وجهها "ليس لدي أحد استطيع محادثته هكذا"

قال: "لقد استمتعت بوقتي أيضًا" وقد كانت تلك هي الحقيقة.

*

يوم الثلاثاء التالي، وأثناء جلوسه في المقهى يقرأ كتابه، ظهرت المرأة مجددًا تبادلا التحية بابتسامة وجلست إلى طاولة مجاورة. أخذا يقلبان صفحات كتابيهما بصمت. قبيل الظهر بقليل، انتقلت إلى طاولته وتحدثت معه وكما فعلا في الأسبوع السابق، قررا تناول الغداء معًا. قالت:" أعرف مطعمًا فرنسيًا بالجوار إنه صغير ومريح، وأتساءل إذا ما كانت لديك الرغبة في الذهاب، ليس ثمة مطاعم جيدة في المول." وافق: "يبدو ذلك جيدًا، لنذهب." استقلا سيارتها إلى المطعم، بيجو 306 أوتوماتيكية زرقاء. تناولا سلطة الحُرْف والقاروس المشوي وكأسًا من النبيذ الأبيض. وتناقشا حول رواية ديكنز وهما يأكلان.

في طريق عودتهما إلى المول بعد الغداء، أوقفت السيارة في موقف وأمسكت بيده في يدها، وقالت أنها ترغب في الذهاب معه إلى مكان جميل وهادئ، تفاجأ قليلاً من السرعة التي تطورت بها الأمور.

أوضحت له: "لم افعل شيء كهذا منذ زواجي، ولو لمرة. لكن كل ما كنت أفكر به خلال الأسبوع الماضي هو أنت. أعدك بأنني لن أطالبك بشيء أو أسبب لك أية متاعب، وبالطبع إن كنت لا تجدني جذابة..."

ضغط على يدها برفق وشرح لها الوضع بهدوء.. قال، إذا كنت رجلاً عاديًا، أنا متأكد من أنني سأكون سعيدًا بالذهاب معك إلى مكان جميل وهادئ إنك امرأة جذابة وأعرف أن إمضاء وقت كذلك معك سيكون أمرًا رائعًا، لكنني شاذ، لذلك لا استطيع تدبر أمر الجنس مع النساء. بعض الشواذ يستطيعون، لكن ليس أنا. آمل أن تتفهمي ذلك. أخشى أنه يمكنني أن أكون صديقك، لكن ليس عشيقك. استغرقت بعض الوقت لتفهم ما كان يحاول إيصاله (فقد كان أول مثلي الجنس تقابله في حياتها) وأخيرًا عندما استوعبت الأمر، أجهشت بالبكاء، وهي تدفن وجهها في

كتف مدوزن البيانو، وظلت تبكي لفترة طويلة. قال لنفسه لابد أن الأمر صدمة بالنسبة لها، يا للمرأة المسكينة. ثم أحاطها بذراعيه وأخذ يداعب شعرها.

قالت أخيرًا: "سامحني، فقد جعلتك تتحدث عن أمر لا ترغب في التطرق له"

"لا بأس، لا أحاول أن اخفي ما أنا عليه. أعتقد أنه كان يجدر بي أن ألاحظ الاتجاه الذي كنا نسير فيه حتى لا يحدث أي سوء تفاهم. أخشى أنني الذي سببت لك الحرج"

داعبت أصابعه الطويلة الرشيقة شعرها لفترة طويلة، وقد كان لذلك أثر مهدئ. لاحظ شامة على شحمة أذنها اليمنى، فاستدعت الشامة ذكرى من أيام طفولته. لدى شقيقته الكبرى شامة بحجم مماثل، وفي نفس المكان. عندما كان صغيرًا كان يفرك شامة شقيقته بعبث أثناء نومها محاولاً إزالتها، ثم تستيقظ شقيقته وهي تستشيط غضبًا.

قالت: "اجتاحتني موجة من الحماسة منذ أن قابلتك. لم اختبر شعورًا مماثلاً منذ فترة طويلة. كان شعورًا رائعًا، كما لو أنني عدت مراهقة مجددًا.

ذهبت إلى صالون تجميل، وبدأت حمية غذائية سريعة، وابتعت بعض الملابس الداخلية الإيطالية..."

قال ضاحكًا: "يبدو أنني جعلتك تهدرين أموالك"

"لكنني كنت بحاجة إلى ذلك في الفترة الحالية"

"بحاجة إلى ماذا؟"

"كان علي أن افعل شيئًا لأعبر عما أشعر به"

"بشراء ملابس داخلية إيطالية مثيرة؟"

احمرت خجلاً حتى أذنيها

"لم تكن مثيرة، إطلاقا كانت جميلة للغاية فحسب"

ابتسم ونظر في عينيها. وأوضح لها أنه كان يمزح فحسب. فساعد ذلك على تبديد التوتر وابتسمت له، وظلا يحدقان داخل عيني بعضهما لبعض الوقت.

أخرج منديله ومسح دموعها.اعتدلت في جلستها، وأصلحت مكياجها مستخدمة مرآة حاجب الشمس.

"سأذهب إلى مستشفى بعد الغد، علي إجراء فحوصات متعلقة بسرطان الثدي"

أوقفت السيارة في المكان المخصص لها أمام المول وجذبت الفرامل اليدوية

"وجدوا ظلاً في صور أشعة إكس السنوية، وطلبوا مني الحضور حتى يمكنهم إجراء المزيد من الفحوصات. إذا ما اتضح أنه سرطان بالفعل، قد يتعين علي إجراء عملية جراحية على الفور. قد يكون هذا هو سبب تصرفي على هذا النحو اليوم. ما أعنيه هو..."

لم تقل شيئاً لبعض الوقت ثم هزت رأسها بشدة "أنا نفسي لا افهم الأمر"

تأمل مدوزن البيانو صمتها لبرهة، مرهفًا السمع، كأنه يريد التقاط أخفت الأصوات من بين طياته.

قال: " سوف أكون هنا كل ثلاثاء تقريبًا، هنا تمامًا. اقرأ كتابًا ليس هناك الكثير مما يمكنني فعله لمساعدتك، لكن يمكنك الاعتماد علي إذا رغبت في الحديث مع شخص ما، إن لم تمانعي الحديث مع أمثالي"

"لم اخبر أي احد بهذا الأمر، حتى زوجي"

وضع يده على يدها التي لا تزال على الفرامل اليدوية

"أنا خائفة، أحيانًا أخاف لدرجة افقد معها القدرة على التفكير"

توقفت شاحنة صغيرة مقفلة زرقاء إلى جوارهما، و ترجل عنها زوجان في منتصف عمرهما يبدوان غير سعيدين، و يتجادلان حول أمر تافه. و ما إن ابتعدا عاد الصمت ليخيم عليهما من جديد وكانت قد أسبلت جفنيها.

قال: "لست في موضع يخولني لإسداء أي نصيحة، لكن ثمة قاعدة دائمًا ما أتبعها عندما لا أعرف ما علي فعله"

"قاعدة؟"

"إذا تعين عليك الاختيار بين شيء لديه نمط، وآخر ليس لديه نمط اختاري الذي ليس لديه نمط. هذه هي قاعدتي، ودائمًا ما تنجح. حتى إذا كان ذلك الخيار صعبًا في وقته"

"هل اختلقت هذه القاعدة بنفسك؟"

"نعم" أجاب وهو ينظر إلى عداد مسافات البيجو "من تجربتي الخاصة"

أعادت كلامه: "إذا تعين عليك الاختيار بين شيء لديه نمط، وآخر ليس لديه اختار ما ليس لديه نمط"

"صحيح"

فكرت بالأمر قليلاً :"لكن إذا كان علي الاختيار الآن، لا أعرف إذا ما كانت لدي القدرة على التمييز بين ما لديه نمط وما ليس لديه نمط"

"قد لا تعرفين. لكن في مرحلة ما، أنا متأكد من انك سوف تضطرين إلى اتخاذ مثل هذا القرار"

"كيف تعرف ذلك؟"

أومأ بهدوء: "رجل شاذ خبير مثلي لديه جميع أنواع القدرات الخاصة"

ضحكت: "شكرًا لك"

أعقب ذلك صمت طويل، لكنه لم يكن كثيفًا و خانقًا كما في السابق.

قالت المرأة: "وداعًا، أود أن أشكرك حقًا، أنا سعيدة بمقابلتك والحديث معك. أشعر بأنني أكثر قدرة على مواجهة الأمور الآن"

ابتسم وصافحها : "اعتني بنفسك"

ظل واقفًا في مكانه وهو يشاهد البيجو الزرقاء تسير مبتعدة، ولوح مودعًا ثم سار ببطء تجاه سيارته الـ هوندا.

*

كان الجو ممطرًا يوم الثلاثاء التالي، فلم تأت المرأة إلى المقهى. قرأ بصمت حتى الواحدة ثم غادر.

في هذا اليوم، قرر مدوزن البيانو عدم الذهاب إلى الصالة الرياضية لم يرغب في التمرن فحسب. بدلاً عن ذلك، اتجه إلى المنزل مباشرة دون التوقف للغداء واضجع على أريكته وهو يستمع إلى آرثر روبنشتاين وهو يعزف مقطوعات لشوبن، مغمضًا عينيه. كان يمكنه تصور وجه المرأة وملمس شعرها، عاد إليه شكل الشامة على شحمة أذنها بوضوح، بعد برهة تلاشى وجهها وسيارتها الـ بيجو من ذهنه وظلت الشامة متشبثة سواء أن أغمض عينيه أو فتحهما، ظلت تلك النقطة السوداء عالقة بذهنه.

حوالي الثانية والنصف بعد الظهر، قرر أن يتصل بشقيقته، التي انقضى وقت طويل منذ آخر مرة تحدثا فيها معًا. تساءل، كم مر من الوقت؟ عشر سنوات؟

وصل بهما الجفاء إلى هذا الحد. أحد أسباب ذلك أنه عندما توترت خطبتها وكادت أن تفسخ، نشبت بينهما مشادة حادة وقالا أشياء ما كان ينبغي لها أن تقال. السبب الآخر أنه لم يحب زوجها، كان جلفًا ومتعجرفًا، وتعامل مع ميول مدوزن البيانو

الجنسية كأنها مرض مُعدي، فلم يرغب مدوزن البيانو في الاقتراب من الرجل بمقدار مائة ياردة ما لم يكن مضطرًا لذلك اضطرارًا.

تردد بضعة مرات قبل أن يلتقط الهاتف، لكنه أدخل الرقم أخيرًا، رن الهاتف أكثر من عشر مرات، وكان على وشك الاستسلام- شاعرًا بالارتياح في الواقع- عندما أجابت شقيقته، بصوتها المألوف. وعندما أدركت أنه هو، ساد صمت عميق للحظات.

قالت بنبرة مسطحة: "لماذا تتصل بي؟"

أقر: "لا أدري، فكرت أنه من الأفضل أن أتصل بك فحسب. كنت قلقًا عليك"

عاد الصمت مره أخرى، صمت طويل. قال لنفسه، ربما لا تزال غاضبة مني.

"ليس ثمة سبب محدد لاتصالي، فقط أردت التحقق من أن كل شيء على ما يرام"

"انتظر لحظة" قالت شقيقته، وعرف أنها تبكي "آسفة، أيمكنك أن تمنحني لحظة؟"

تمدد الصمت لفترة أطول. احتفظ بالسماعة على أذنه طوال الوقت، لم يكن بمقدوره سماع أي شيء أو الإحساس بأي شيء.

سألته أخيرًا: "هل أنت مشغول حاليًا؟"

"لا، ليس لدي ما افعله"

"أيمكنني المجيء لرؤيتك؟"

"بالطبع. سأقلك بالسيارة من المحطة"

بعد ساعة، اصطحب شقيقته من محطة القطار وقصدا شقته. انقضت عشر سنوات منذ أن رأيا بعضهما، ولم يكن هناك بد من الإقرار بأنهما الاثنين قد تقدما

في السن. كان كل منهما كمرآة للآخر، يتأملان التغييرات في نفسيهما. لا تزال شقيقته رشيقة وأنيقة، وبدت أصغر من عمرها الحقيقي بخمس سنوات. مع ذلك كانت وجنتاها غائرتين كما لم يرهما من قبل، كما فقدت عيناها الجذابتين الداكنتين بريقهما المعتاد. هو نفسه بدا أصغر سناً أيضًا، مع أنه يصعب إخفاء حقيقة أنه بدأ يفقد شعره. تحدثا بتردد عن المواضيع المعتادة: العمل، أطفالها أخبار أصدقائهما المشتركين، حالة والديهما الصحية.

عندما وصلا إلى شقته، اتجه مباشرة إلى المطبخ لغلي بعض الماء.

"أما زلت تعزف البيانو؟" سألته وهي تنظر إلى البيانو عمودي الأوتار في غرفة الجلوس.

"لتسليتي الخاصة فحسب. وأعزف المقطوعات البسيطة فقط، لم أعد قادرًا على عزف تلك المقطوعات الصعبة"

*

رفعت شقيقته غطاء البيانو وأراحت أصابعها على المفاتيح المصفرة من كثرة الاستعمال.

"كنت متيقنة من أنك سوف تصبح عازف بيانو شهير ذات يوم"

"عالم الموسيقى هو المكان الذي تندثر في عبقريات الطفولة"

أردف وهو يسحن حبوب البن:

"التخلي عن فكرة أن أصبح عازف بيانو محترف كان خيبة أمل كبيرة بالنسبة لي، كما لو أن كل ما فعلته حتى ذاك كان مجرد إهدار للوقت وددت لو أختفي من الوجود. لكن تبين لي أن أذنيّ تتفوقان على يديّ كثيرون من هم أكثر موهبة مني في العزف، لكن لا أحد لديه أذنين مثل أذنيّ. أدركت ذلك بعد مضي وقت ليس

بالطويل من التحاقي بالجامعة، كما أدركت أن كوني مدوزن بيانو من الطراز الأول، أفضل بكثير من أن أكون عازفًا من الدرجة الثانية."

أخرج عبوة الكريمة من الثلاجة وسكب بعضًا منها في إبريق خزفي.

"إنه أمر غريب، بعدما انتقلت لمجال دوزنة البيانو، بدأت استمتع بعزف البيانو أكثر. كنت أتمرن على العزف بجنون منذ صغري، كان من الممتع ملاحظة أدائي يتطور يومًا بعد يوم، لكنني لم استمتع بالعزف قط. محاولة تجنب الأخطاء، أو تشابك أصابعي، كل ذلك لإثارة إعجاب الناس. فقط عندما تخليت عن فكرة أن أصبح عازف بيانو، اتضح لي أن عزف البيانو من الممكن أن يكون ممتعًا، كما بدأت المس روعة الموسيقى. كان الأمر أشبه بعبء ثقيل رُفع عن كاهلي، عبء لم أدرك أنني كنت ارزح تحت وطأته إلا بعدما تخلصت منه"

"لم تحدثني عن هذا من قبل إطلاقاً"

"حقًا؟"

هزت شقيقته رأسها

واصل حديثه: " كان ذلك في نفس الوقت الذي أدركت فيه أنني شاذ. المشاكل التي استعصت على فهمي حُلّت من تلقاء نفسها، وصارت الحياة أسهل بكثير بعد ذلك. كأن غيومًا انقشعت من أمامي واتضحت لي الرؤية أخيرًا، أنا متأكد من أنني قد أثرت استياء الكثيرين عندما تخليت عن عزف البيانو وأعلنت أنني مثلي. لكنني أريد منك أن تفهمي أن تلك كانت هي الطريقة الوحيدة لأكون على طبيعتي، وذاتي الحقيقية."

وضع كوبًا من القهوة أمام شقيقته، ثم أخذ كوبه وجلس إلى جوارها على الأريكة.

قالت: "على الأرجح أنه كان علي أن أبذل مجهودًا أكبر لفهمك بصورة أفضل. لكن قبل اتخاذ تلك الخطوات، كان يجدر بك أن تشرح لنا الوضع أن تخبرنا بما يجول في ذهنك، أن تشركنا في ما كنت تفكر به و..."

"لم أرغب في شرح أي شيء"

قال مقاطعاً إياها

"أردت أن يتفهم الناس وضعي فحسب، دون أن اضطر لتفسير أي شيء، لا سيما أنتِ"

لم تقل شقيقته أي شيء

"في ذلك الوقت لم يكن بمقدوري أخذ مشاعر الآخرين باعتباري، لم يكن بوسعي التفكير بذلك"

تهدج صوته قليلاً وهو يستدعي تلك الفترة من حياته وشعر برغبة عارمة في الإجهاش بالبكاء، لكنه تمالك نفسه بطريقة ما وتابع حديثه.

"تغيرت حياتي تمامًا في ذلك الوقت، خلال فترة وجيزة. كنت خائفًا للغاية يملأني الرعب. في ذلك الوقت لم يكن بمستطاعي أن أفسر أي شيء لأي أحد. شعرت وكأنني على وشك الانزلاق عن وجه الأرض. أردت منك أن تفهميني فحسب، وتضميني إليك، دون أي منطق أو تفسيرات، لكن لا أحد..."

غطت شقيقته وجهها بيديها، واهتز كتفاها وهي تنتحب بصمت، وضع يده على كتفها برفق.

قالت: "أنا آسفة"

"لا بأس"

أجاب وأضاف بعض الكريمة إلى قهوته وحركها، ثم أخذ رشفة بطيئة محاولاً تهدئة نفسه

"لا داعي للبكاء، إنه خطئي أنا أيضًا"

قالت وهي ترفع رأسها لتنظر إليه مباشرة:

"من بين كل الأيام، لماذا اتصلت بي اليوم؟"

"اليوم؟"

"لم تتصل بي منذ عشرة أعوام، فقط أريد أن أعرف لماذا اخترت اليوم"

"حدث شيء ما، وقد جعلني أفكر بك. تساءلت عن حالك وأردت أن أسمع صوتك، هذا كل شيء"

"لم يخبرك أحد بأي شيء؟"

كان ثمة شيء مختلف في صوتها، الأمر الذي أثار أعصابه

"لا، لم أسمع أي شيء من أي أحد. هل حدث شيء؟"

ظلت شقيقته صامته لبعض الوقت، تحاول استجماع مشاعرها. انتظرها بصبر لتوضح له.

قالت: "سوف أذهب إلى المستشفى غداً"

"المستشفى؟"

"سأجري عملية سرطان ثدي، سوف يقومون بإزالة ثديي الأيمن بأكمله، مع أن لا أحد يعرف إن كان ذلك سيوقف الورم من الانتشار، لن يعرفوا قبل إزالته"

انعقد لسانه لبعض الوقت. لا تزال يده على كتفها، جال بناظريه حوله بلا هدف متنقلاً بين موجودات الغرفة، الساعة، الزينة، الرزنامة، ريموت كنترول الستريو

أشياء مألوفة في غرفة مألوفة، لكنه كان عاجزًا عن استيعاب المسافة التي تفصل بين شيء و آخر.

قالت شقيقته: "كنت أتساءل، لفترة طويلة، عما إذا كان ينبغي علي أن اتصل بك وانتهيت إلى أنه يجب ألا افعل. لذلك لم أقل شيئًا لكنني أردت رؤيتك بشدة، فكرت بأنه يجدر بنا أن نتحدث حديثًا وديًا، ولو لمرة واحدة على الأقل. ثمة أشياء كان علي أن اعتذر بشأنها. لكن... لم ارغب في رؤيتك هكذا، أتعرف ما أعنيه؟"

"أعرف"

"إن كنا سنلتقي، أردت أن يكون ذلك في ظروف سعيدة، حيث أكون أكثر تفاؤلاً لذلك قررت ألا أتصل بك. وما أن عقدت العزم على ذلك اتصلتَ بي..."

طوقها بذراعيه بصمت، وجذبها إليه، كان يشعر بنهديها يضغطان على صدره أسندت وجهها على كتفه وبكت، لبث الأخ وأخته على تلك الحال لفترة طويلة.

تحدثت أخيرًا: "قلت أن شيئاً حدث جعلك تفكر بي، ماذا كان؟ إن لم تكن تمانع إخباري"

"لا اعرف كيف اعبر عن ذلك، يصعب شرحه. كان شيئًا حدث فحسب سلسلة من المصادفات، مصادفة تلو الأخرى. ثم..."

هز رأسه. لم يستعد إدراكه للمسافات بعد، تفصل عدة سنوات ضوئية بين الزينة على الطاولة والريموت كنترول.

قال: "لا استطيع أن اشرح لك الأمر"

"لا بأس، لكنني سعيدة لأن ما حدث قد حدث، سعيدة للغاية"

لمس شحمة أذنها اليمنى ومسح على الشامة بخفة، ثم وكأنه يرسل همسة بلا كلمات إلى مكان ما، انحنى وقبل الشامة "

*

تمت إزالة ثدي شقيقتي الأيمن، ولحسن الحظ فإن الورم لم ينتشر تماثلت للشفاء بعد علاج كيميائي خفيف. حتى أن شعرها لم يتساقط ، وقد بلغت تمام الصحة الآن. كنت أذهب لرؤيتها في المستشفى يوميًا تقريبًا لابد أنه أمر فظيع بالنسبة لامرأة أن تفقد ثديًا بتلك الطريقة. وبعد خروجها إلى المنزل، بدأت أزورهم بانتظام، وصرت مقربًا من ابن وابنة شقيقتي حتى إنني كنت أعطي ابنة شقيقتي دروسًا في عزف البيانو. لا أريد التفاخر ، لكنها فتاة واعدة. كما أن زوج شقيقتي لم يكن بالسوء الذي ظننته، وذلك بعد أن تعرفت إليه عن قرب. صحيح أنه لا يزال جلفًا ومعتدًا بنفسه، لكنه يعمل بجد ويحسن معاملة شقيقتي. وقد تخلص أخيرًا من الفكرة الجاثمة على عقله، مقتنعًا بأن الشذوذ ليس مرضًا معديًا سأنقله إلى أطفاله، خطوة صغيرة لكنها هامة"

ضحكَ

"بعد ترميم علاقتي بشقيقتي، شعرت أنه بمقدوري المضي قدمًا في حياتي، و أنه يمكنني أن أعيش بالطريقة التي يفترض أعيش بها الآن أكثر من ذي قبل... كان أمرًا علي تقبله والتعايش معه، اعتقد أنني في أعماقي لطالما أملت أن أتصالح مع شقيقتي، وأن أكون قادرًا على احتضانها مرة أخرى"

سألتُه: "لكن شيئًا كان يجب أن يحدث قبل أن تتمكن من ذلك؟"

أومأ عدة مرات، وقال:

"صحيح. هذا هو المفتاح لفهم ما جرى. أتعرف، خطرت لي هذه الفكرة في ذلك الوقت: رغم كل شيء، قد تكون الصدفة أمرًا شائعًا، هذه المصادفات تقع حولنا في كل مكان، طوال الوقت، إلا أن معظمها لا تسترعي انتباهنا وندعها تمر فحسب كالألعاب النارية خلال النهار، قد تسمع صوتًا خافتًا، لكنك حتى إذا نظرت

للأعلى لن ترى شيئًا. لكننا إن كنا نأمل حقًا أن يتحقق أمر ما، قد يصبح مرئيًا كرسالة تنبثق على شاشة كمبيوتر. عندها يكون بمستطاعنا أن نتبينها بوضوح ونفك شفرة ما تعنيه. وعندما نرى أشياءً تحدث أمام أعيننا، نندهش ونتعجب من إمكانية وقوع أشياء كهذه، بالرغم من أنه ليس هناك ما يدعو للعجب بشأنها.

لا استطيع الكف عن التفكير بذلك، ما الذي تعتقده؟ هل هذا ما يتسبب في وقوع هذه الأشياء؟"

فكرت بما قاله قليلاً، وأجبته:

" قد تكون محقًا"

لكنني لم أكن متيقنًا من أن كل شيء يمكن أن يكون مرتبًا بدقة هكذا

قلت: "أفضّل أن أؤمن بشيء أبسط، مثل إله الجاز"

ضحك: "أحب ذلك، سيكون أمرًا لطيفًا إن كان ثمة إله للشواذ أيضًا"

*

ليست لدي فكرة عما حدث لتلك المرأة التي قابلها في مقهى متجر الكتب، لم أدوزن البيانو الخاص بي منذ أكثر من ستة أشهر، ولم تتسن لي الفرصة للحديث معه. لكنني أتخيل أنه لا يزال يقود سيارته أيام الثلاثاء عابرًا نهر تاما ليذهب إلى ذلك المقهى. من يدري، ربما التقى بها مصادفة مرة أخرى. لكنني لم اسمع شيئًا مما يعني أن القصة تنتهي هنا.

لا اكترث إن كان إله الجاز، أو إله الشواذ، أو أي آلهة أخرى، لكنني آمل أن يكون احدهم في مكان ما، و دون تطفل وكأنها مصادفة، يعتني بتلك المرأة. أتمنى هذا من أعماق قلبي، أمنية بسيطة للغاية.

قرد شيناغاوا

A Shinagawa Monkey

تجد صعوبة في تذكر اسمها أحيانًا. يحدث هذا عادة عندما يسألها أحدهم عنه بصورة مفاجئة، قد تكون في محل ملابس لتعديل كمّي فستانها فيقول لها صاحب المحل، اسمك سيدتي؟ فتبهت ولا تجد ما تقوله، وكأن عقلها يتحول لصفحة بيضاء وكانت الطريقة الوحيدة لتذكر اسمها هي إخراج رخصة قيادتها، الأمر الذي حتمًا كان يبدو غريبًا للشخص الذي يتحدث معها. حتى وهي تتحدث عبر الهاتف، الصمت المحرج أثناء تنقيبها داخل حقيبتها، يجعل من يحادثها على الطرف الآخر يتساءل عما يحدث.

كان بإمكانها تذكر كل شيء آخر، لم تنس قط أسماء الذين حولها عنوانها، أو رقم الهاتف، أو أرقام الزبائن الدائمين. لم تعان قط في تذكر اسمها عندما تكون هي من يذكره ابتداءً. تكون ذاكرتها بخير طالما أنها تعرف مقدمًا ما ستسأل عنه. لكن عندما تكون في عجلة من أمرها وغير مستعدة، تصبح وكأن ثمة دارة كهربائية قُطعت في دماغها. ومهما جاهدت، يتضح لها أكثر أنها لا تستطيع تذكر الاسم الذي تدعى به.

كان اسمها بعد الزواج ميزوكي أندو، وقبل الزواج كان ميزوكي أوزاوا. لم يكن أي من الاسمين مميزًا أو دراميًا بشكل خاص. إلا أن ذلك لا يفسر تلاشيهما من ذاكرتها. كان اسمها ميزوكي أندو لحوالي ثلاث سنوات، منذ زواجها برجل يدعى تاكاشي أندو. في البداية لم تستطع التعود على اسمها الجديد - شكله عند كتابته، ونطقه، بدا لها أن شيئًا ما غير صحيح بشأنه، لكنها بدأت تعتاد عليه

تدريجيًا، بعد تكراره وتوقيعه عدة مرات. مقارنة باحتمالات أخرى، ميزوكي ميزوكي، مثلاً، أو ميزوكي ميكي (في الواقع، واعدت شابًا اسمه ميكي لفترة)- ميزوكي أندو لم يكن سيئًا.

كان قد مرّ على زواجها عامان عندما بدأ اسمها ينفلت منها. في البداية كان ذلك يحدث حوالي مرة واحدة في الشهر. لكن بمرور الوقت، صارت الحادثة تتكرر أكثر فأكثر، الآن تنسى اسمها على الأقل مرة في الأسبوع. تكون بخير إذا كانت تحمل معها حقيبتها اليدوية أما إذا ضاعت حقيبتها فستضيع هي نفسها، لن تختفي تمامًا بالطبع، فهي لا تزال تتذكر عنوانها ورقم الهاتف. هذه لم تكن كحالات فقدان الذاكرة التام في الأفلام. مع ذلك تظل حقيقة نسيانها لاسمها مزعجة. شعرت بأن حياة بلا اسم، أشبه بحلم لن تستيقظ منه أبدًا.

ذهبت ميزوكي إلى متجر مجوهرات وابتاعت سوارًا رفيعًا وبسيطًا، ونقشت اسمها عليه 'ميزوكي أوزاوا/أندو'. شعرت وكأنها كلبة أو قطة. مع ذلك كانت تحرص على ارتداء السوار كلما خرجت من المنزل. إذا نسيت اسمها، كل ما عليها هو أن تلقي نظرة خاطفة ناحية معصمها، لا مزيد من التنقيب داخل حقيبتها، ولا مزيد من النظرات الغريبة من الناس.

لم تخبر زوجها عن مشكلتها، كانت تعلم أنه سيقرر أن ذلك يعني أنها غير سعيدة بزواجهما. كان يفكر بطريقة منطقية أكثر من اللازم بشأن كل شيء، لم يكن يتعمد إزعاج الناس بذلك، هذا ما هو عليه فحسب- دائم التنظير. كما انه ثرثارً إلى حد ما، لا يستسلم بسهولة ما أن يشرع في الحديث عن موضوع ما. لذلك احتفظت بالأمر برمّته لنفسها، مع ذلك كانت تعتقد أن ما قاله زوجها- أو ما كان ليقوله لو

علم بالمشكلة - أمرًا مستبعد. لم تكن غير راضية بزواجهما. عدا عن منطقية زوجها الزائدة، لم يكن هناك ما تتذمر بشأنه إطلاقًا.

ميزوكي وزوجها أخذا رهنًا عقاريًا وابتاعا شقة في مبنى جديد بشيناغاوا. زوجها الذي يبلغ من العمر ثلاثون عامًا، يعمل في معمل لشركة أدوية. ميزوكي في السادسة والعشرين وتعمل في وكالة لشركة هوندا، تجيب على الهاتف تحضر القهوة للزبائن، تقوم بتحضير النسخ تحفظ الملفات، تقوم بتحديث بيانات الزبائن. كان عمها مسئول تنفيذي بشركة هوندا، أوجد لها العمل بعد تخرجها من كلية جامعية متوسطة في طوكيو. لم يكن بالعمل الأكثر اثارة الذي يمكنها تخيله لكن كانت لديها بعض المسؤوليات، ولم يكن سيئًا بصفة عامة.

عندما يكون رجال المبيعات غائبين، تحل محلهم، ودائمًا ما تقوم بعمل جيد في الإجابة عن أسئلة الزبائن. كانت قد راقبت رجال المبيعات وهم يعملون واستوعبت المعلومات التقنية الضرورية بسرعة. حفظت معدلات الأميال لكل الموديلات الموجودة بصالة العرض، ويمكنها إقناع أي شخص مثلاً بأن التحكم في الـ 'أوديسيا' أقرب لسيارة صالون عادية منه إلى حافلة صغيرة، كانت ميزوكي محاورة بارعة، كما لديها ابتسامة عذبة تريح الزبائن وتعرف كيف تغير خيوط اللعبة بناءً على قراءتها لشخصية الزبون، إلا أنه ا لسوء الحظ، لم تكن مخولة لتقديم حسومات، أو التفاوض في المقايضات، أو تقديم خيارات مجانية. لذلك حتى إذا جعلت الزبون مستعدًا للتوقيع على الخط المتقطع، في نهاية المطاف عليها أن تسلم زمام الأمور لأحد رجال المبيعات الذي سيحصل على العمولة. المكافأة الوحيدة التي يمكنها توقعها هي عشاء مجاني من حين لآخر من رجل مبيعات يريد مشاركة حظه الذي سيق إليه دون عناء.

من وقت لآخر يخطر لها أن الوكالة ستبيع المزيد من السيارات إذا سمحوا لها بالعمل في قسم المبيعات، لكن هذه الفكرة لم تخطر لأحد آخر فهكذا تعمل الشركة قسم المبيعات قائم بذاته، وموظفي الأعمال المكتبية قسم آخر. باستثناء بعض الحالات النادرة، هذه الحدود لا يمكن خرقها. لكن ذلك لا يهم كثيرًا؛ فهي لم تكن طموحة أو تسعى لمسيرة مهنية مرموقة في الشركة. تفضل قضاء ساعاتها الثمانية من التاسعة حتى الخامسة، وأخذ إجازتها في موعدها، والاستمتاع بأوقات فراغها.

في مكان العمل، استمرت ميزوكي في استخدام اسمها قبل الزواج. كانت تعلم أنه من أجل تغيير ه عليها أن تعدل جميع البيانات المتعلقة بها في قاعدة البيانات وهو ما ظلت تؤجله، لما في ذلك من عناء. كانت مدرجة كمتزوجة لأسباب متعلقة بالضرائب، لكن اسمها لم يتغير. كانت تعلم أن هذا خطأ، لكن لم يقل أي أحد في الوكالة شيئًا بهذا الخصوص، لذلك ظل اسمها ميزوكي أوزاوا على بطاقات عملها وبطاقة الدوام. علم زوجها بأنها لا تزال تستخدم اسمها قبل الزواج في العمل (كان يتصل بها في مكان العمل أحيانًا) لكن لم يبدُ أن لديه مشكلة مع الأمر، فقد كان متفهماً أنها، ببساطة، مسألة ملاءمة. لم يكن يتذمر طالما أنه يستطيع رؤية المنطق في ما تفعله. من هذه الناحية كان لين الجانب إلى حد كبير.

بدأت ميزوكي تشعر بالقلق من أن نسيان اسمها قد يكون أحد أعراض مرض خطير، ربما علامة مبكرة للزهايمر. يطفح هذا العالم بالأمراض الفتاكة غير المتوقعة، فقد اكتشفت مؤخراً وجود أمراض مثل مرض هنتنغتون، والوهن العضلي. لا بد أن هناك أعدادًا لا تحصى من الأمراض التي لم تسمع بها قط .وفي

معظم تلك الأمراض تكون الأعراض المبكرة طفيفة، طفيفة لكنها غير عادية مثل.. نسيان اسمك؟

ذهبت إلى مستشفى كبير وشرحت حالتها، لكن الطبيب الشاب المناوب - الذي كان شاحبًا جدًا ومرهقًا لدرجة أنه يبدو أشبه بمريض أكثر من كونه طبيبًا - لم يأخذها على محمل الجد.

سألها: "هل تنسين شيئًا آخر إلى جانب اسمك؟"

"لا، حاليًا اسمي فقط"

"أمـمـم، هذه تبدو لي أقرب لحالة نفسية" قال بصوت مجرد من أي تعاطف أو اكتراث "رجاءً عودي إلينا إذا بدأت بنسيان أي شيء آخر عندها يمكننا إجراء بعض الفحوصات"

لدينا الكثير من المرضى في حالات أكثر خطورة من حالتك، هذا ما بدا أنه يلمح إليه.

ذات يوم، صادفت ميزوكي مقالة في نشرة دورية صادرة عن السجن المحلي تعلن عن افتتاح مركز إرشاد نفسي، مقالة صغيرة، كانت لتغفل رؤيتها عادة. سيعمل المركز مرتين في الشهر. تديره مستشارة متخصصة، تقدم جلسات خاصة برسوم مخفضة إلى حد كبير. يستطيع جميع النزلاء بسجن شيناغاوا الذين تكون أعمارهم فوق الثامنة عشرة الاستفادة من الخدمة. كل ذلك ذكر في المقالة. وأن المركز يحرص على السرية التامة. ساورتها بعض الشكوك حول مقدرة مركز إرشادي برعاية السجن على تقديم العون لها، لكنها قررت المحاولة. عادة ما تكون الوكالة مزدحمة في عطلات نهاية الأسبوع ، لكن الحصول على إذن خلال

الأسبوع لم يكن أمرًا صعبًا. تكلف الجلسة التي تستمر لثلاثين دقيقة ألفي ين، وهو المبلغ الذي لم يكن كبيرًا بالنسبة لها.

عندما وصلت إلى المركز، وجدت ميزوكي أنها الزبونة الوحيدة.

"أُطلق هذا البرنامج بصورة متعجلة نوعاً ما" أوضحت لها موظفة الاستقبال "معظم الناس لم يسمعوا به بعد، أنا متأكدة من المكان سيكون أكثر ازدحامًا ما أن يعلموا بأمره"

كانت المرشدة اسمها تيتسوكو ساكاكي، امرأة لطيفة، ممتلئة تميل إلى البدانة قليلاً، في أواخر الأربعينات من عمرها، شعرها القصير مصبوغ بلون بني فاتح يتجعد وجهها العريض بابتسامة ودودة. وكانت ترتدي بذلة صيفية شاحبة وبلوزة حريرية لامعة، وعقدًا من اللؤلؤ الصناعي، وحذاء منخفض الكعبين. بدت أشبه بربة منزل بالحي أكثر من كونها مرشدة نفسية.

"يعمل زوجي في إدارة السجن هنا" قالت على سبيل التعارف، "إنه رئيس قسم الأشغال العامة، وقد ساعدنا في الحصول على الدعم لافتتاح هذا المركز. في الواقع، أنت أول زبونة لنا، ونحن سعداء جدًا بحضورك. ليست لدي أية مواعيد أخرى اليوم، لذلك دعينا نتمهل ونتحدث من القلب إلى القلب" تحدثت المرأة بإيقاع مضبوط، كل حركاتها متأنية ومدروسة.

"أنا سعيدة أيضاً بلقائك" قالت ميزوكي، مع أنها سرًا كانت تتساءل إذا ما كان يمكن لامرأة كهذه أن تساعدها.

"يمكنك الاطمئنان، فلدي شهادة في الإرشاد النفسي وخبرة طويلة" أردفت المرأة وكأنها قرأت ما يجول في ذهن ميزوكي.

كانت السيدة ساكاكي تجلس خلف مكتب معدني عادي، وجلست ميزوكي على أريكة صغيرة وقديمة تبدو وكأنها قد جُرّت من مخزن للتو توشك نوابضها على القفز من مكانها، كما جعلت الرائحة العتيقة أنفها يرتعش.

اتكأت للخلف وبدأت تشرح ما كان يحدث معها والسيدة ساكاكي تومئ من وقت لآخر، لم تطرح أية أسئلة، أو تبدي أية دهشة. أصغت لقصة ميزوكي باهتمام. وباستثناء انعقاد ما بين حاجبيها من حين لآخر كأنها تفكر بشيء ما، لم تتغير تعابير وجهها، ابتسامتها الباهتة كقمر ربيعي عند الغسق لم تبارحها قط.

"كانت فكرة رائعة أن تضعي اسمك على سوار" علقت بعد أن أنهت ميزوكي حديثها "أعجبتني الطريقة التي تعاملت بها مع الأمر، يجب أن يكون الهدف الأول هو إيجاد حل عملي، للتقليل من الحرج. من الأفضل بكثير التعامل مع المسائل بواقعية، بدلاً من إطالة التفكير بها بقلق. تبدين لي ذكية، كما انه سوار جميل يبدو جميلاً عليك."

"أتظنين أن نسيان الاسم قد يكون له علاقة بمرض أكثر خطورة؟ هل ثمة حالات مشابهة؟"

"لا اعتقد أن هناك أمراض لديها هذا النوع من الأعراض المبكرة، إلا إنني قلقة لأن الأعراض أصبحت أسوأ خلال العام الماضي. افترض أن ذلك من الممكن أن يقود إلى أعراض أخرى، أو أن النسيان قد يمتد إلى أجزاء أخرى من ذاكرتك. لذلك دعينا نبدأ خطوة بخطوة ونحاول تحديد سبب العلة"

بدأت السيدة ساكاكي بطرح أسئلة تقليدية حول حياة ميزوكي: كم مر على زواجك؟ ما نوع العمل الذي تزاولينه؟ كيف هي صحتك العامة؟ ثم تطرقت لطفولتها، وعائلتها، ودراستها، الأشياء التي تستمتع بها، والأشياء التي لا تحبها

والأشياء التي كانت بارعة فيها، والتي لم تكن بارعة فيها. حاولت ميزوكي الإجابة عن كل سؤال بسرعة وصدق ما أمكنها.

نشأت ميزوكي في أسرة عادية، كان والدها يعمل في شركة تأمين كبيرة، مع أن والديها لم يكونا ثريين بأي حال، إلا أنها لا تتذكر أنهما كانا يعانيان من أجل المال. كان والدها رجلاً جادًا، بينما كانت أمها أكثر رقة وكثيرة الكلام نوعًا ما. دائمًا ما كانت شقيقتها الكبرى الأولى على صفها مع أن ميزوكي كانت تشعر بأنها خبيثة قليلاً وسطحية. مع ذلك لم تكن لديها أية مشاكل مع أسرتها بشكل خاص، لم تكن بالطفلة التي تلفت الأنظار، ولم تمرض قط. كما لم تكن لديها أي عُقد بشأن مظهرها، مع أنه لم يخبرها أي أحد بأنها جميلة أيضًا. كانت تعتبر نفسها ذكية إلى حد ما، دائمًا ما تكون أقرب إلى الأوائل في صفها، لكنها لم تكن متفوقة في أي مجال. كان لديها بعض الصديقات المقربات في المدرسة، إلا أن معظمهن تزوجن وانتقلن إلى مدن أخرى، ونادرًا ما تتصل بهن.

لم يكن ثمة ما تتذمر بشأنه فيما يختص بزواجها، في البداية ارتكبت هي وزوجها الأخطاء المعتادة التي يرتكبها عادة المتزوجون حديثًا، لكن بمرور الوقت تجاوزاها وعاشا حياة مستقرة. لم يكن زوجها مثاليًا، لكنه يتحلى ببعض الصفات الحميدة، فهو لطيف، ويعتني بنظافته، ويتحلى بروح المسؤولية، ويأكل كل ما يُقدم له، ولا يتذمر إطلاقاً. وبدا أنه منسجم مع رؤسائه وزملائه سواء.

أثناء إجابتها عن كل هذه الأسئلة، فوجئت ميزوكي بالحياة الرتيبة التي كانت تعيشها. لم يكن في حياتها أقل قدر من الدراما. إذا حُولت حياتها إلى فيلم، سيكون كإحدى تلك الأفلام الوثائقية ذات الميزانية المنخفضة التي تسبب النعاس، مناظر طبيعية تمتد إلى ما لا نهاية، بلا أي تغيير في المشاهد، أو لقطات مقربة، أو أي

حدث ينذر بسوء، أو أي شيء إيحائي. كانت ميزوكي تعلم أن جزءًا من عمل المرشدة يتمثل في الاستماع لمرضاها، لكنها بدأت تشعر بالشفقة على المرأة التي اضطرت لسماع قصة حياة مملة كهذه، لو كنتُ في مكانها وتعيّن علي سماع قصص لا نهاية لها عن حيوات رتيبة كحياتي هذه، قالت ميزوكي مخاطبة نفسها في مرحلة ما، سأخر صريعة من الملل.

إلا أن تيتسوكو ساكاكي أصغت إليها باهتمام، وهي تدون بضع ملاحظات مختصرة وعندما تحدثت، لم يحمل صوتها سوى الدفء والاهتمام الصادق دون أي أثر للملل. شعرت ميزوكي باسترخاء غريب، وأدركت أنه لم يستمع إليها أي شخص بهذا الصبر من قبل قط، وعندما انتهت الجلسة، بعد أكثر من ساعة بقليل شعرت وكأن عبئاً ثقيلاً قد انزاح عن كاهلها.

"أيمكنك المجيء في نفس الوقت يوم الأربعاء القادم؟" سألت السيدة ساكاكي وعلى وجهها ابتسامة عريضة.

"نعم، يمكنني ذلك. ألا تمانعين؟"

"بالطبع لا، طالما أنك راغبة في الاستمرار. قد يستغرق الأمر بضع جلسات قبل إحراز أي تقدم. نحن لسنا كأحد برامج الراديو تلك حيث يطالبك المضيف بالصمود وعدم الاستسلام. لنتمهل ونقوم بعمل جيد"

"كنت أتساءل إذا ما كان يمكنك تذكر أي حدث له علاقة بالأسماء" سألت السيدة ساكاكي أثناء الجلسة الثانية "اسمك أو اسم شخص آخر، أو اسم حيوان أليف، أو اسم مكان قمت بزيارته، أو لقب ربما؟ إن كانت لديك أي ذكرى تتعلق

باسم، أود أن تخبريني بشأنها. لا يهم إذا كانت غير ذات أهمية، طالما أنها تتعلق باسم. حاولي أن تتذكري"

فكرت ميزوكي لبضع دقائق.

وقالت أخيرًا: "لا اعتقد أنه لدي ذكرى محددة متعلقة باسم، أو على الأقل لا شيء يخطر لي الآن. أه، مهلاً... لدي ذكرى عن رقعة اسم"

"رقعة اسم، جيد جدًا"

"لكنها لم تكن رقعة اسمي، كانت تخص شخصاً آخر"

"لا يهم، أخبريني عنها"

"كما ذكرت لك الأسبوع الماضي، ارتدتُ مدرسة خاصة بالبنات، في المرحلتين الثانوية الوسطى والعليا. كنت أعيش في ناغويا والمدرسة في يوكوهاما، لذلك كنت أعيش في مهجع الطالبات واذهب إلى المنزل في عطلات نهاية الأسبوع. استقل قطار شينكانزين إلى المنزل مساء الجمعة وأعود إلى المنزل مساء الأحد كانت المدرسة على بعد ساعتين، لذلك لم أشعر بالوحدة"

أومأت السيدة ساكاكي "لكن ألم تكن هناك مدارس خاصة جيدة في ناغويا؟ لماذا تقطعين كل هذه المسافة إلى يوكوهاما؟"

"ارتادت أمي تلك المدرسة، وأرادت أن تدرس بها واحدة من بناتها أيضًا. واعتقدتُ أنه سيكون أمرًا جميلاً أن أعيش بعيدًا عن والدي قليلاً. كانت مدرسة تبشيرية، لكنها متحررة إلى حد ما. وقد أقمت عدة صداقات رائعة هناك. جميعهن كنّ مثلي، فتيات من مناطق أخرى ارتادت أمهاتهن تلك المدرسة. مكثت بها لست سنوات، وقد استمتعت بها بصفة عامة، مع أن الطعام كان سيئًا"

ابتسمت السيدة ساكاكي "قلت أن لديك شقيقة كبرى؟"

"صحيح، تكبرني بعامين"

"لماذا لم تذهب هي إلى تلك المدرسة؟"

"كانت ممن يفضلون المكوث بالمنزل، كما كانت لديها بعض المشاكل الصحية لذلك ذهبت إلى مدرسة محلية. لطالما كنت أكثر استقلالا منها. عندما أنهيت المرحلة الابتدائية وسألني والديّ إذا ما كنت أريد الذهاب إلى تلك المدرسة في يوكوهاما وافقت على الفور. كما كانت تثيرني فكرة ركوب قطار شينكانزين كل أسبوع"

"معظم الوقت الذي قضيته هناك، كانت لدي زميلة تشاركني الغرفة لكن في السنة الأخيرة، مُنحت غرفتي الخاصة. كما تم تعييني ممثلة لطالبات المهجع. كل طالبة في المهجع لديها رقعة اسم، والتي يتم تعليقها على لوح عند مدخل المبنى. الوجه الأمامي من الرقعة يحمل اسمك مكتوبًا باللون الأسود، وعلى الوجه الخلفي باللون الأحمر وكلما غادرت المهجع، عليك أن تقلبي الرقعة، وتقلبيها ثانية عندما

تعودين. إذا كان اسم فتاة باللون الأسود، فذلك يعني أنها في المهجع، وإذا كان بالأحمر ستعرفين أنها خرجت. وإذا كنت ستمضين الليلة بالخارج، أو ستغيبين في إجازة لبضعة أيام، عندها عليك إزالة رقعة اسمك من اللوح. كان نظامًا مريحًا تتناوب الطالبات على الجلوس في مكتب الاستقبال، وعندما تأتي مكالمة من السهل معرفة ما إذا كانت الطالبة موجودة بنظرة سريعة إلى اللوح."

"على أي حال، حدث هذا في أكتوبر، ذات ليلة قبل وقت العشاء، كنت في غرفتي أؤدي فروضي، عندما جاءتني طالبة بالسنة الأولى تدعى يوكو ماتسوناكا. كانت الفتاة الأجمل في المهجع بلا منازع، لديها بشرة فاتحة وشعر طويل، وملامح وجه جميلة أشبه بالدمى. يدير والداها فندق صغير معروف في كانازاوا، وكانا

ثريين إلى حد ما. لم تكن في صفي، لذلك فأنا غير متأكدة، لكنني سمعت أنها كانت تحرز درجات عالية، أي يمكننا القول بأنها كانت من الفتيات اللاتي يلفتن الأنظار. الكثير من الفتيات كن يُبجِّلنها، لكنها كانت ودودة ومتواضعة، كانت فتاة هادئة، لا تظهر مشاعرها كثيرًا، ربما كانت الفتيات الأصغر سنًا ينظرن إليها كقدوة لكنني لا اعتقد أنه كان لديها أي صديقات مقربات."

عندما فتحت ميزوكي باب غرفتها، وجدت يوكو ماتسوناكا أمامها ترتدي سترة ضيقة ذات عنق طويل وسروال جينز .

"ألديك دقيقة للتحدث معي؟"

"بالطبع" قالت ميزوكي متفاجئة "لا أقوم بشيء مهم حاليًا"

مع أنها كانت تعرف يوكو، لم تتحدث ميزوكي معها على انفراد من قبل. لم يخطر لها أن يوكو قد تطلب مشورتها في شأن شخصي.

أشارت إليها بالجلوس ريثما تعد كوبين من الشاي.

"ميزوكي، هل سبق أن شعرتِ بالغيرة؟" سألت يوكو فجأة

فوجئت ميزوكي بالسؤال، لكنها فكرت به مليًا.

أجابت: "لا، لا اعتقد ذلك"

"ولا حتى مرة واحدة؟"

هزت ميزوكي رأسها "على الأقل عندما تسألينني دون مقدمات هكذا، لا استطيع أن أتذكر شيئًا. أي نوع من الغيرة تعنين؟"

"كأن تحبي أحدهم، لكنه يحب واحدة أخرى. أو أن هناك شيئاً تريدينه بشدة لكن أحدهم يمتلكه ببساطة، وكأنه لا شيء. أو أن ثمة شيء لا تستطيعين فعله لكن شخص آخر يفعله دون أي عناء...وأشياء على هذه الشاكلة"

قالت ميزوكي: "لا اعتقد أنني شعرت بشيء كهذا. هل حدث هذا معك؟"

"كثيراً"

لم تحر ميزوكي جوابًا. ما الذي يمكن أن تريده فتاة كهذه أكثر مما لديها؟ كانت جميلة، وثرية، ومتفوقة في المدرسة، ولديها شعبية، وأبويها شغوفين بها. كما سمعت ميزوكي بأنها كانت تواعد طالبًا جامعيًا وسيمًا. لذلك ممن يمكن أن تغار بحق السماء؟

سألتها ميزوكي "متى؟ على سبيل المثال"

"أفضّل ألّا أتحدث عن ذلك" قالت يوكو وهي تنتقي عباراتها بحرص "لا جدوى من الخوض في التفاصيل. لكنني أردت أن أسألك منذ فترة، إذا ما شعرت بالغيرة من قبل"

لم تكن لدى ميزوكي فكرة عما تريده يوكو منها، لكنها قررت أن تجيبها بصدق ما أمكنها ذلك.

"لا اعتقد أنني شعرت بالغيرة التي تحدثينني عنها من قبل قط" أعادت كلامها "لا اعرف لماذا، قد يكون ذلك غريبًا قليلاً إذا فكرتِ به، اعني ليس وكأن ثقتي بنفسي لا حدود لها، أو أنني احصل على كل ما أريده. في الواقع هناك العديد من الأشياء التي أشعر بالإحباط حيالها. لكن أيًا كان السبب، لم يشعرني ذلك بالغيرة من الآخرين. أتساءل لماذا."

ابتسمت يوكو ماتسوناكا ابتسامة باهتة "لا اعتقد أن الغيرة لها علاقة بظروف موضوعية، أي إذا كنت محظوظة فلا تشعرين بالغيرة. وإذا كنت محرومة من

الكثير من الأشياء، تشعرين بها. الغيرة لا تعمل بهذا المنطق إنها أشبه بورم ينمو بداخلك ويصبح أكبر فأكبر، دون أي أسباب منطقية. حتى لو علمتِ بوجوده فليس ثمة ما تفعلينه لإيقافه"

استمعت ميزوكي دون أن تقاطعها، كما لم تكن يوكو معتادة على أن يكون لديها الكثير لتقوله دفعة واحدة هكذا.

أردفت يوكو: "من العسير شرح ماهية الغيرة لشخص لم يشعر بها من قبل. الأمر الوحيد الذي اعرفه عنها هو أنه يصعب العيش معها، كأنك تحملين جحيمك الصغير معك أينما ذهبت، يومًا بعد يوم. يجب أن تكوني ممتنة للغاية لأنك لم تشعري بها"

توقفت يوكو عن الحديث، وارتسمت على وجهها تعابير يمكن اعتبارها ابتسامة. إنها جميلة بحق، قالت ميزوكي لنفسها، كيف سيكون شعوري إذا كنت مثلها، جميلة لدرجة أنني أدير الرؤوس حيثما ذهبت؟ أهو أمر تفتخرين به؟ أم أنه أقرب إلى عبء؟ على الرغم من هذه الأفكار، لم تشعر ميزوكي بالغيرة من يوكو ولو لمرة.

"سأذهب إلى المنزل الآن" قالت يوكو وهي تحدق إلى يديها في حجرها "توفي أحد أقربائي وعلي حضور الجنازة. وقد استأذنت من مشرفة المهجع. سأعود صباح الاثنين. لكن أثناء غيابي، كنت أتساءل إذا ما كان يمكنك الاعتناء برقعة اسمي"

أخرجت رقعة اسمها من جيبها وأعطتها لميزوكي.

"لا أمانع الاحتفاظ بها من أجلك، لكن لماذا تزعجين نفسك بإحضارها لي؟ ألم يكن بوسعك إلقاؤها في أحد الأدراج؟"

نظرت في عيني ميزوكي لبرهة وقالت: "يقلقني أمر ما، ولا أريد أن احتفظ بها في غرفتي"

"حسناً"

"لا أريد أن يسرقها قرد أثناء غيابي"

"أشك في وجود أية قردة هنا" قالت ميزوكي ضاحكة، لم يكن من عادة يوكو أن تمزح.

غادرت يوكو الغرفة، تاركة خلفها رقعة اسم، وكوب شاي لم يُمس وفضاء خالٍ غريب حيث كانت تجلس.

"لم تعد يوكو يوم الإثنين" قالت ميزوكي مخاطبة السيدة ساكاكي "كان مشرف صفها قلقًا، لذلك اتصل بوالديها. اتضح أنها لم تذهب إلى المنزل أصلاً، كما لم يمُت أيًا من أفراد عائلتها، فلم تكن ثمة جنازة لحضورها. كذبت في كل ما قالته. وجدوا جثتها بعد أسبوع تقريبًا، قطعت شرايين معصمها في مكان ما في الغابة. لا أحد يعلم لماذا فعلت ذلك، كما لم تترك رسالة. قالت شريكتها بالغرفة أنها كانت طبيعية كما كانت دومًا ولم يكن يقلقها أي شيء. قتلت يوكو نفسها دون أن تقول شيئًا لأي أحد"

سألت السيدة ساكاكي "لكن ألم تكن الآنسة ماتسوناكا هذه تحاول أن تخبرك شيئًا؟ عندما جاءت إلى غرفتك وتركت رقعة اسمها معك، وتحدثت عن الغيرة"

"صحيح أنها تحدثت عن الغيرة معي، لم استوعب لم اذا فعلت ذلك عندئذٍ، إلا أنني أدركت لاحقًا أنها أرادت أن تخبر أحدهم عنها قبل أن تموت"

"هل أخبرت أي شخص بأنها جاءت لرؤيتك؟"

"لا، إطلاقاً"

"لمَ لا؟"

أمالت ميزوكي رأسها وفكرت قليلاً "إذا أخبرت الجميع بذلك، كنت سأسبب المزيد من الحيرة والارتباك. لا اعتقد أن أحدهم كان ليتفهم الأمر"

"تعنين أن الغيرة قد تكون سببًا لانتحارها؟"

"صحيح، كما قلت، من الذي يمكن أن تغار منه فتاة مثل يوكو؟ كان الجميع مستاءً في ذلك الوقت. قررت أنه من الأفضل أن احتفظ بالأمر لنفسي. يمكنك تصور الأجواء في مهجع الفتيات، الحديث عن ذلك كان ليكون كإشعال عود ثقاب في غرفة مليئة بالغاز"

"ماذا حدث لرقعة الاسم؟"

"لا زالت لدي، إنها في صندوق في خزانتي مع رقعة اسمي"

"لماذا احتفظت بها؟"

"كانت الأحوال فوضوية في المدرسة بعد الحادثة وفوّت فرصة إعادتها وكلما انتظرت أكثر ، أصبح صعباً علي أن اذهب وأسلمها ببساطة. كما لم استطع التخلص منها أيضًا، إضافة إلى أنني بدأت اعتقد أن يوكو ربما أرادت مني أن احتفظ بها"

"ربما كانت يوكو مهتمة بك لسبب ما، أو منجذبة لشيء ما فيك"

"ما كنت لأعرف ذلك"

صمتت السيدة ساكاكي لفترة وهي تنظر إلى ميزوكي كأنها تريد التأكد من شيء ما

"لندع كل هذا جانبًا، هل صدقًا أنك لم تشعري بالغيرة من قبل قط؟ ولو لمرة في حياتك؟

لم تجب ميزوكي على الفور، وقالت أخيرًا: "لا أعتقد ذلك. بالطبع هناك أناس محظوظين أكثر مني، لكن ذلك لا يعني أنني أشعر بالغيرة منهم، اعتقد أن كل شخص حياته مختلفة"

"وبما أن حياة الجميع مختلفة، ليس هناك مجال للمقارنة؟"

"أفترض ذلك"

"وجهة نظر مثيرة للاهتمام" قالت السيدة ساكاكي عاقدة ذراعيها على سطح مكتبها وصوتها الهادئ ينمّ عن البهجة "إذاً ذلك يعني أنك غير قادرة على استيعاب ماهية الغيرة؟"

"اعتقد أنني افهم ما يثير الشعور بها، لكن صحيح ،لا اعرف كيف يكون الشعور بها، أو مدى وطأتها، أو المدة التي تدوم فيها، أو مدى المعاناة التي تعيشينها بسببها"

عندما عادت ميزوكي إلى المنزل، ذهبت مباشرة إلى خزانتها وأخرجت صندوق الورق المقوى حيث تحتفظ برقعة اسم يوكو بالإضافة إلى رقعة اسمها. جميع الأشياء الجديرة بالتذكر في حياة ميزوكي كانت محشوة في ذلك الصندوق: رسائل يوميات، ألبومات صور، كانت تنوي التخلص منها، لكنها لم تجد الوقت لفرزها. لذلك كانت تجرّ الصندوق معها كلما انتقلت لمسكن جديد. لكنها نقبت جميع أركان الصندوق، ولم تجد المظروف الذي وضعت بداخله رقعتي الاسم. كانت في حيرة من أمرها فهي قد نظرت داخل الصندوق في الأيام الأولى من انتقالها إلى الشقة وتتذكر بوضوح أنها رأت المظروف، ولم تفتح الصندوق منذ ذلك الوقت لذلك يجب أن يكون المظروف بالصندوق. أين عساه قد يذهب؟

أخفت ميزوكي أمر جلساتها الاستشارية عن زوجها، لم تتعمد ذلك لكن بدا لها أن تفسير الأمر برمّته سيكلفها عناءً لا يستحقه. إلى جانب ذلك حقيقة أن ميزوكي تنسى اسمها وتذهب لمقابلة مرشدة نفسية لم تكن لتزعجه على أي حال.

كما احتفظت بأمر فقدان رقعتي الاسم أيضًا، وقد رأت أن ذلك لن يؤثر على جلساتها الإرشادية إذا لم تعلم السيدة ساكاكي بأمرها.

مر شهران، داومت ميزوكي خلالهما على الذهاب إلى مركز السجن الذي تزايد به عدد طالبو الاستشارة. لذلك اضطرت السيدة ساكاكي إلى تخفيض زمن الجلسة من ساعة إلى ثلاثين دقيقة. لم يكن هذا يهم كثيرًا بما أنهما عرفتا كيف تستغلان وقتهما معًا. أحيانًا تود ميزوكي لو أنهما تستطيعان الحديث لمدة أطول لكن نظرًا للرسوم المنخفضة، لم يكن بوسعها التذمر.

"هذه هي جلستنا التاسعة معًا" قالت السيدة ساكاكي قبل خمس دقائق من نهاية الجلسة "إنك لا تنسين اسمك بصورة أقل، لكن النسيان لم يصبح أسوأ، أليس كذلك؟"

"لا، لم يصبح أسوأ"

"عظيم" قالت السيدة ساكاكي وهي تعيد قلم الحبر الجاف ذو الأنبوب الأسود إلى جيبها. وشبكت أصابعها على المكتب، صمتت قليلاً وقالت: "ربما- أقول ربما- عندما تأتي الأسبوع المقبل، سوف نحرز تقدمًا كبيرًا في هذه المسألة"

"تعنين أمر نسيان اسمي؟"

"بالضبط. إذا سارت الأمور كما خططتُ لها، سأتمكن من معرفة السبب الفعلي حتى إنه يمكنني أريه لك"

"سبب نسيان اسمي؟"

"تحديدًا"

لم تتمكن ميزوكي استيعاب ما ترمي إليه السيدة ساكاكي "عندما تقولين السبب الفعلي... تعنين أنه شيء يمكن رؤيته؟"

"بالطبع يمكن رؤيته" قالت السيدة ساكاكي وهي تفرك يديها برضا "لا يمكنني الخوض في التفاصيل حتى الأسبوع القادم، في هذه المرحلة لا زلت غير متأكدة ما إذا كان الأمر سينجح أم لا، آمل أن ينجح فحسب"

أومأت ميزوكي.

"على أي حال، ما أحاول قوله هو أنك قد عانيت الأمرّين بسبب هذه المشكلة. لكننا أخيرًا نقترب من إيجاد الحل. تعرفين ما يقال إن الحياة ثلاث خطوات إلى الأمام وخطوتين إلى الخلف؟ لذلك لا تقلقي، ثقي بي فحسب سأراك الأسبوع المقبل. ولا تنسي أن تحددي موعدًا في طريقك للخارج"

أردفت السيدة ساكاكي عبارتها الأخيرة بغمزة من عينها.

في الأسبوع التالي،عندما دخلت ميزوكي المكتب، رحبت بها السيدة ساكاكي بأكبر ابتسامة رأتها ميزوكي على وجهها.

"لقد اكتشفت سبب نسيانك لاسمك" قالت بفخر "ووجدت الحل"

"هل يعني ذلك أنني لن أنسى اسمي بعد الآن؟"

"صحيح، لن تنسي اسمك مجددًا، تم حل المشكلة"

أخرجت السيدة ساكاكي شيئًا من حقيبة يد سوداء بجانبها ووضعته على المكتب "اعتقد أنها تخصكِ"

نهضت ميزوكي من الأريكة واقتربت، رأت على المكتب رقعتي اسم مكتوب على إحداها 'ميزوكي أوزاوا' وعلى الأخرى 'يوكو ماتسوناكا' شحب وجه

ميزوكي وعادت إلى الأريكة، غاصت فيها وقد انعقد لسانها لبعض الوقت وأطبقت براحتي يديها على شفتيها، كأنها تريد أن تمنع الكلمات من الخروج.

"لا عجب أنك متفاجئة، لكن ليس هناك ما تخافينه"

"كيف..."

"كيف عثرت على رقعتي الاسم من المدرسة الثانوية؟"

أومأت ميزوكي.

"استعدتهما من أجلك، هاتين الرقعتين سُرقتا منك، ولذلك كنت تعانين في تذكر اسمك"

"لكن من قد..."

"من قد يقتحم منزلك ويسرق هاتين البطاقتين، ولأي غرض؟" بدلاً عن الإجابة عن ذلك، أعتقد أنه من الأفضل أن تسألي الفاعل مباشرة"

"الشخص الذي سرقها موجود هنا؟" سألت ميزوكي بذهول.

"بالطبع، القينا القبض عليه واستعدنا رقعتي الاسم. لم اعتقله بنفسي بالطبع زوجي وأحد رجاله من قاما بذلك. أتذكرين أنني أخبرتك أن زوجي رئيس قسم الأشغال العامة في السجن؟"

أومأت ميزوكي دون تفكير.

"إذاً ما رأيك بالذهاب لمقابلة الجاني؟ عندها يمكنك سؤاله وتوبيخه وجهًا لوجه كما يحلو لك"

خرجت ميزوكي إلى الصالة في أعقاب السيدة ساكاكي، ثم دلفتا إلى المصعد هبطتا إلى القبو، وسارتا في دهليز طويل ومهجور حتى وصلتا إلى باب عند نهايته.

بالداخل، كان هناك رجل طويل القوام ونحيل البنيان في العقد السادس من عمره، وشاب ضخم في منتصف العشرينات. كلاهما يرتدي زي العمل باللون الخاكي الفاتح، الرجل الأكبر سنًا على صدره رقعة اسم مكتوب عليها 'ساكاكي' وعلى رقعة الشاب 'ساكورادا' و كان الأخير يمسك بهراوة سوداء.

قال السيد ساكاكي : "افترض أنك السيدة أندو، أنا يوشيو ساكاكي، زوج تيتسوكو وهذا هو السيد ساكورادا الذي يعمل معي"

قالت ميزوكي: "سررت بمقابلتكما"

"هل يسبب لكما أية متاعب؟" سألت السيدة ساكاكي زوجها

"لا، يبدو أنه استسلم للوضع، كان ساكورادا يراقبه منذ الصباح، ومن الواضح أنه كان حسن السلوك، لذا فلنتابع"

كان ثمة باب آخر في نهاية الغرفة، فتحه السيد ساكورادا وأضاء المصباح ألقى نظرة سريعة في أنحاء الغرفة، ثم استدار للآخرين "يبدو هادئًا، تفضلوا بالدخول"

"دخلوا إلى ما تبدو كغرفة تخزين صغيرة من نوع ما، لم يكن بها سوى كرسي واحد، يجلس عليه قرد، كان حجمه كبيراً بالنسبة لقرد وأصغر من الإنسان البالغ لكنه أكبر من.. لنقل تلميذ بالمرحلة الابتدائية كان شعره أطول قليلاً من شعر القردة المعتاد ويتخلله اللون الرمادي يصعب تخمين سنه، لكنه لم يكن صغيرًا قطعًا. ذراعاه وساقاه مقيدتان بإحكام إلى الكرسي الخشبي، ويتدلى ذيله الطويل على الأرضية. مع دخول ميزوكي، القى نحوها نظرة خاطفة، ثم طأطأ رأسه مجددًا.

"قرد؟" سألت ميزوكي متفاجئة

أجابت السيدة ساكاكي: "سرق هذا القرد رقعتي الاسم من شقتك تحديدًا في الوقت الذي بدأت فيه نسيان اسمك.

قالت يوكو :' لا أريد أن يسرقها قرد أثناء غيابي' أدركت ميزوكي أنها لم تكن تمزح، وسرت قشعريرة باردة في عمودها الفقري.

"أنا آسف جدًا " قال القرد بصوت منخفض متأثر، يتخلله شيء من لحن موسيقي

"يمكنه الحديث!" تعجبت ميزوكي مشدوهة

"نعم يمكنني الحديث" أجاب القرد دون أن تتغير تعابيره "ثمة شيء آخر أريد أن أعتذر بشأنه، عندما اقتحمت شقتك لم أكن اخطط لأخذ أي شيء بالإضافة إلى رقعة الاسم، لكنني كنت جائعًا للغاية ولم تكن بيدي حيلة سوى التقاط موزتين كانتا على الطاولة، كانتا تبدوان شهيتين فلم استطع المرور بجوارهما فحسب"

"يا لوقاحة هذا الرجل!" قال السيد ساكورادا وهو يضرب راحة يده بهراوته عدة مرات "من يعرف ما سرقته أيضًا؟ أتريدني أن انهال عليه ضربًا قليلاً لنكتشف ذلك؟"

"هون عليك" قال له السيد ساكاكي "لقد اعترف بأمر الموزتين من تلقاء نفسه وفضلاً عن ذلك، إنه لا يبدو لي شريرًا همجيًا. دعنا لا نلجأ للعنف قبل أن نتبين الحقائق، إذا اكتشفوا أننا أسأنا معاملة حيوان هنا سوف نكون في ورطة"

سألت ميزوكي القرد: "لماذا سرقت رقعتي الاسم؟"

أجاب: "هذا ما أفعله، أنا قرد يستولي على أسماء الناس. إنه مرض أعاني منه ما أن يستقر بالي على اسم، لا استطيع منع نفسي، إلا أنني لا اسرق الأسماء كيفما

اتفق، ابحث عن اسم يجذبني، ثم يتعين علي أن أحظى به. اعلم أنه خطأ لكنني لا استطيع السيطرة على نفسي"

"هل كنت تحاول اقتحام المهجع وسرقة رقعة اسم يوكو؟"

"نعم، كنت أحاول ذلك، كنت هائمًا بحب الآنسة ماتسوناكا، انجذبت إليها كما لم انجذب لأي أحد من قبل في حياتي. لكن عندما لم استطع أن أحظى بها، قررت أنه علي أن أحظى باسمها، مهما تطلبه الأمر. إذا امتلكت اسمها عندها فقط سأشعر بشيء من الرضا، لكنها توفيت قبل أن اشرع في تنفيذ خطتي"

"هل كانت لك علاقة بانتحارها؟"

"لا، إطلاقاً" قال القرد وهو يهز رأسه بحزم "لم تكن لي علاقة بذلك اعتقد أنها غُمرت بظلام داخلي"

"لكن كيف عرفت - بعد كل هذه السنوات - أن رقعة اسم يوكو كانت في منزلي؟"

"استغرق ذلك مني وقتاً طويلاً. عندما توفيت الآنسة ماتسوناكا، حاولت أن آخذ رقعة الاسم من اللوح، لكنني لم أجدها، ولم تكن لدي فكرة عن مكانه.

بذلت قصارى جهودي لأجده، لكن بلا طائل. لم يخطر لي عندئذٍ أن الآنسة ماتسوناكا قد تترك رقعة اسمها معكِ، بما أنكما لم تكونا مقربتين"

"صحيح"

"لكن ذات يوم، جاءتني ومضة الهام، أنها ربما - أقول ربما - تكون قد أعطتك إياها، حدث هذا في ربيع العام الماضي، استغرقت وقتًا طويلاً لأتعقبك ولأكتشف أنك قد تزوجت، وأن اسمك أصبح ميزوكي أندو وتعيشين في شقة بشيناغاوا. بطبيعة الحال، كوني قردًا يبطئ بحثًا كهذا كما يمكنك أن تتصوري. على أي حال، لذلك جئت لأسرقها"

"لكن لماذا سرقت رقعة اسمي أيضًا؟ لقد عانيت أيما معاناة بسبب فعلتك هذه!"

"أنا آسف جدًا جدًا" قال القرد وهو يطأطئ رأسه من الخزي "عندا أرى اسمًا يعجبني، أجد نفسي أسرقه دون أن أشعر. هذا محرج نوعًا ما لكن اسمك لامس شغاف قلبي الصغير المسكين. كما أسلفت، إنه مرض تجتاحني رغبات لا يمكنني السيطرة عليها. اعتذر منك بصدق على كل ما سببته لك من مشاكل"

"هذا القرد كان يختبئ في مجاري شيناغاوا" قاطعت السيدة ساكاكي "لذلك طلبت من زوجي أن يقبض عليه بواسطة بعض رجاله"

قال السيد ساكاكي: "الشاب ساكورادا هنا قام بمعظم العمل"

قال ساكورادا بفخر: "على الأشغال العامة أن تأخذ حذرها وتتيقظ عندما تختبئ شخصية كهذه في مجارينا ، من الواضح أن القرد كان لديه وكر أسفل تاكاناوا استخدمه لشن عمليات السطو في جميع أنحاء طوكيو"

قال القرد: "ليس ثمة مكان نعيش فيه في المدينة ، هناك أشجار قليلة جدًا، ولا توجد الكثير من الأماكن الظليلة خلال النهار. إذا صعدنا فوق الأرض سوف يتجمهر الناس حولنا ويحاولون الإمساك بنا ، ويقذفنا الأطفال بمختلف الأشياء ويطلقون علينا الرصاص من المسدسات الهوائية وتطاردنا الكلاب

وينبثق أمامنا مصورو التلفاز ويسلطون علينا أضواء ساطعة ، لذلك علينا أن نختبئ تحت الأرض."

"لكن كيف عرفت أن هذا القرد كان يختبئ في المجاري؟" سألت ميزوكي السيدة ساكاكي.

"أثناء حديثنا خلال الشهرين الماضيين، اتضحت لي كثير من الأشياء تدريجيًا وكأن ضبابًا كثيفًا ينقشع من أمامك. أدركت أنه لابد من وجود شيء يسرق الأسماء وأيًا كان هذا الشيء، لابد أنه يختبئ تحت الأرض وقد قلص ذلك دائرة الاحتمالات إلى حد ما، إما أن يكون في أنفاق القطارات أو في المجاري. لذلك أخبرت زوجي بأن هناك مخلوقًا، ليس بشرًا، يعيش في المجاري، وطلبت منه التحقق من الأمر. وبالطبع، جاءوا بهذا القرد"

لم تجد ميزوكي ما تقوله للحظة "لكن ... كيف جعلك مجرد الاستماع إليّ تدركين ذلك؟"

"ربما لا يجوز لي، باعتباري زوجها، أن أقول هذا" قال السيد ساكاكي وعلى محياه علامات الجد "لكن زوجتي امرأة فريدة ولديها قدرات غير عادية ، شهدت معها الكثير من الأحداث الغريبة خلال زواجنا القائم منذ اثنين وعشرين عامًا لذلك لم ادخر وسعًا لمساعدتها في افتتاح المركز الإرشادي هنا في مكتب السجن اعلم أنها إذا وجدت مكانًا لتسخر فيه قدراتها، فسوف يصب ذلك في صالح سكان شيناغاوا"

سألت ميزوكي "ما الذي ستفعلونه بالقرد؟"

"لا يمكننا أن ندعه يعيش" قال ساكورادا بطريقة عرضية "مهما يقولونه فإنهم ما أن يكتسبوا عادة سيئة كتلك، فإنهم سرعان ما يعودون إلى ألاعيبهم القديمة بعد إطلاق سراحهم"

قال ساكاكي : "مهلاً الآن ، مهما كان لدينا من الأسباب، إذا اكتشفت إحدى جمعيات حقوق الحيوان أننا قتلنا قردًا، سيرفعون شكوى ويمكنك أن تراهن أننا سندفع الثمن غاليًا. أتذكر عندما قتلنا تلك الغربان؟ أتذكر ما مررنا به حينها؟ أود تجنب ذلك ما استطعت"

"أتوسل إليكم..لا تقتلوني، رجاءً" قال القرد ورأسه متدلٍ على صدره "ما فعلته كان خطأً، أتفهم ذلك ، سببت الكثير من المتاعب ، لا أحاول أن أجادلكم لكن أفعالي ترافقها جوانب إيجابية أيضًا"

سأله السيد ساكاكي بحدة : "ما الجوانب الايجابية التي قد ترافق سرقة أسماء الناس؟"

"أنا اسرق أسماء الناس بالفعل، لا شك في ذلك، لكن في الوقت عينه بمقدوري إزالة بعض العناصر السلبية التي تلازم تلك الأسماء. لا اقصد التبجح لكن إذا كنت قد تمكنت من سرقة رقعة اسم يوكو ماتسوناكا، على الأرجح ما كانت لتنهي حياتها"

سألت ميزوكي: "لماذا تقول ذلك؟"

"إلى جانب اسمها، ربما كنت لأتمكن من أخذ بعض الظلام الذي كان يخيم بداخلها"

قال ساكورادا: "لا أصدق هذا، هذا القرد يستحق الموت، بالطبع سيحاول تبرير أفعاله"

"وربما لا" قالت السيدة ساكاكي وهي عاقدة ذراعيها "قد يكون محقًا" ثم التفتت إلى القرد "عندما تسرق الأسماء، تأخذ معك الصالح والطالح؟"

"نعم، هذا صحيح، ليس لدي خيار آخر، إنها أشبه بصفقة شاملة، آخذ كل شيء كما أجده"

"حسنًا، أي نوع من الجوانب السلبية كانت ترافق اسمي؟" سألت ميزوكي القرد "أُفضّل ألّا أقول ذلك"

ألحّت ميزوكي "قل لي أرجوك"

صمتت قليلاً واستطردت: "إذا أجبت عن سؤالي، سأعفو عنك وسأطلب من هؤلاء الحاضرين أن يعفو عنك أيضًا"

"أتعنين ذلك؟"

سألت ميزوكي السيد ساكاكي: "إذا أخبرني هذا القرد بالحقيقة، هل ستصفح عنه؟ إنه ليس شريرًا بطبيعته، وقد عانى بما فيه الكفاية، لذلك دعنا نسمع ما لديه ثم يمكنك أخذه إلى جبل طوكيو أو إلى أي مكان آخر وتطلق سراحه، لا اعتقد أنه سيزعج أي شخص مجددًا. ما رأيك؟"

"ليس لدي أي اعتراض طالما أن ذلك يناسبك " قال السيد ساكاكي ثم التفت إلى القرد "ماذا تقول؟ هل تقسم إننا إذا أطلقنا سراحك في الجبال، أنك لن تقترب من حدود مدينة طوكيو؟"

"نعم سيدي. أقسم أنني لن أعود" تعهد القرد بخنوع "لن أسبب لك أي مشكلة أبدًا. لم أعد شابًا، وسأفتح صفحة جديدة في حياتي"

"حسنًا إذًا، لم لا تخبرني عن الأشياء السالبة التي كانت عالقة باسمي؟" قالت ميزوكي وهي تحدق مباشرة داخل عيني القرد الحمراوين الصغيرتين.

"قد يؤلمك ما سأقوله"

"لا اكترث، قل لي"

فكر القرد بالأمر للحظة، وعلى جبهته تجاعيد عميقة، وقال: "اعتقد أنه من الأفضل ألّا تسمعي هذا"

"قلت لك لا بأس، أريد أن أعرف حقًا "

"حسنًا، سأخبرك إذاً. أمك لا تحبك، ولم تحبك قط ولا حتى لدقيقة منذ ميلادك، لا أعرف لماذا، لكن ذلك صحيح. كما لا تحبك شقيقتك الكبرى أيضًا. أرسلتك أمك إلى المدرسة في يوكوهاما لأنها رغبت في التخلص منك، أرادت أن تبعدك عنها

ما أمكنها ذلك. والدك ليس شخصًا سيئًا، لكنه ضعيف الشخصية ولم يستطع الدفاع عنك. لهذه الأسباب، فإنك لم تحصلي على الحب الكافي منذ طفولتك. اعتقد أنه كانت لديك فكرة غامضة عن هذا، لكنك غضضت الطرف عمدًا، حبست هذا الواقع المؤلم في ركن صغير مظلم عميقًا داخل قلبك، وختمت عليه بالشمع الأحمر. وقد جاهدت لكبت أي مشاعر سلبية. هذا الموقف الدفاعي أصبح جزءًا منك. ونظرًا لكل هذا، أنت نفسك لم تتمكني قط من أن تحبي أي أحد حبًا عميقًا خالصًا"

ظلت ميزوكي صامتة

"تبدو حياتك الزوجية سعيدة وخالية من المنغصات، ربما تكون كذلك لكنك لا تحبين زوجك محبة حقيقية، هل أنا محق؟ حتى لو قدّر لك أن تنجبي طفلاً سينطبق عليه الأمر نفسه"

لم تقل ميزوكي شيئًا، تهالكت على الأرضية وأغمضت عينيها، شعرت وكأن جسدها بكامله على وشك التشظي، جلدها، وأعضاءها، وعظامها كانت تتجعد وتُسحق، كل ما كانت تسمعه هو صوت أنفاسها.

"يا لفظاعة الأشياء التي يقولها هذا القرد" قال ساكورادا وهو يهز رأسه "سيدي، لا استطيع التحمل أكثر من هذا، دعني أوسعه ضرباً!"

قالت ميزوكي: "مهلاً، ما يقوله القرد صحيح، وقد كنت أعرفه منذ فترة طويلة لكنني دائمًا ما كنت أتجنب مواجهته، إنه يقول الحقيقة. لذلك رجاءً أعفوا عنه خذوه إلى الجبال واتركوه فحسب"

وضعت السيدة ساكاكي يدها على كتف ميزوكي بلطف "هل أنت متأكدة من هذا؟"

"لا أمانع، طالما أنني سأستعيد اسمي، من الآن فصاعدًا، سوف أتعايش مع ما لدي، إنه اسمي، وتلك هي حياتي"

أثناء وداع ميزوكي للقرد، أعطته رقعة اسم يوكو ماتسوناكا وقالت: "يجب أن تحتفظ أنت بهذه، ليس أنا، إعتنِ باسمها. ولا تسرق اسم أي شخص آخر"

"سأعتني به جيدًا، ولن اسرق أبدًا، أعدك" قال القرد وعلى عينيه نظرة جادة

"هل تعلم لماذا تركت يوكو رقعة الاسم معي قبل وفاتها؟ لماذا اختارتني؟"

قال القرد: "لا أعلم لماذا، لكن بسبب ذلك، التقيت بك، افترض أنها إحدى ألاعيب القدر"

قالت ميزوكي:"لابد أنك محق"

"هل آلمك ما أخبرتك به؟"

"نعم، آلمني كثيرًا"

"آسف. لم أكن أريد أن أخبرك"

"لا بأس. كنت أعرف ذلك في قرارة نفسي بالفعل، إنه أمر يتعيّن علي مواجهته يوماً ما"

"يريحني سماع ذلك"

قالت ميزوكي: "وداعًا، لا أتخيل أننا سنلتقي مجددًا"

"اعتني بنفسك. وشكرًا لك لإنقاذ حياتي البائسة"

"من الأفضل لك ألّا تظهر وجهك بالقرب من شيناغاوا ثانية" حذره ساكورادا وهو يضرب راحة يده بهراوته "سنمنحك فرصة هذه المرة بما أن المدير يقول ذلك، لكن إذا قبضت عليك هنا مجددًا، لن تخرج حيًا"

"حسنًا، ماذا سنفعل الأسبوع القادم؟" سألت السيدة ساكاكي عندما عادت هي وميزوكي إلى المكتب "هل هناك ما ترغبين في مناقشته معي؟"

هزت ميزوكي رأسها "لا. تم حل مشكلتي بفضلك، أنا في غاية الامتنان لكل م ا فعلته من أجلي"

"ألا ترغبين في الحديث حول ما قاله لك القرد؟"

"لا. حريّ بي أن أتولى أمر ذلك بنفسي، علي أن أفكر فيما قاله لوحدي لبعض الوقت"

أومأت السيدة ساكاكي وقالت: "إذا تحليتِ بالعزيمة، أنا واثقة أنك ستصبحين أقوى"

تصافحت المرأتان وتبادلتا عبارات الوداع.

عندما عادت إلى المنزل، أخذت رقعة اسمها وسوارها ووضعتهما داخل مظروف بني عادي ووضعت المظروف داخل صندوق الورق المقوى داخل خزانتها. أخيراً تمكنت من استعادة اسمها، ويمكنها استئناف حياتها، قد تسير الأمور نحو الأفضل، وربما لا. لكن على الأقل، لديها اسمها الآن، اسمها الخاص بها، بها فقط.

فتاة عيد الميلاد

Birthday Girl

كانت تقوم بخدمة الزبائن كالعادة في ذلك اليوم، يوم عيد ميلادها العشرين. دائماً ما تعمل أيام الجمعة، لكن إذا سارت الأمور كما خُطط لها يوم الجمعة ذلك كانت لتأخذ اليوم إجازة، اتفقت مع الفتاة الأخرى التي تعمل معها بدوام جزئي على استبدال المناوبة معها. بطبيعة الحال التعرض لتوبيخ الطهاة أثناء حمل نوكي القرع و فريتو المأكولات البحرية إلى طاولات الزبائن، لم يكن بالطريقة العادية لإمضاء عيد الميلاد العشرين. لكن الفتاة الأخرى أصيبت بنوبة زكام وظلت طريحة الفراش مع إسهال مستمر ودرجة حرارة تبلغ 104، لذلك وبعد إخطار سريع انتهى بها المطاف وهي تعمل في عيد ميلادها العشرين.

وجدت نفسها تحاول مواساة الفتاة المريضة، التي اتصلت لتعتذر "لا تقلقي، لا بأس لم تكن لدي خطط على أي حال، حتى لو كان عيد ميلادي العشرين."

في الواقع، لم تكن محبطة تماماً؛ لأنها تشاجرت مع حبيبها قبل عيد ميلادها ببضعة أيام، وكان من المفترض أن تخرج معه في تلك الليلة، وقد كانا معاً منذ أيام المدرسة الثانوية. نشب بينهما خلاف لسبب تافه، لكنه تفاقم وتحول لمشادّة عنيفة لدرجة تأكدت معها أن وشائج علاقتهما الممتدة منذ وقت طويل قد تقطعت تمامًا، إلى الأبد. أصبح شيء بداخلها قاسياً كالصخر، ثم مات. لم يتصل بها منذ الشجار، كما لم ترغب هي في ذلك.

كانت تعمل في أحد المطاعم الإيطالية المعروفة في حي توني روبونجي بطوكيو الذي افتتح منذ أواخر الستينيات. على الرغم من أن الطعام الذي كانوا يقدمونه لم يكن في قمة الحداثة، إلا أنه كان ذا سمعه حسنة، ولديه كثير من الزبائن المنتظمين الذين لا يخيب ظنهم أبداً. كانت صالة الطعام ذات جو هادئ وباعث على الاسترخاء دون أي تكلف. بدلاً عن حشود الشباب، اجتذب المطعم شريحة من الزبائن الأكبر سناً تشمل بعض المشاهير والكتاب.

النادلتان اللتان تعملان بدوام كامل كانتا تعملان ستة أيام في الأسبوع هي والأخرى التي تعمل بدوام جزئي تعملان ثلاثة أيام. في الاستقبال امرأة نحيلة في منتصف عمرها يُعتقد أنها تعمل بالمطعم منذ افتتاحه تجلس في مكتبها الوحيد ولا تبارحه مطلقاً، بدت كإحدى الشخصيات السوداوية في ليتل دوريت*. كانت لديها مهمتان تحديداً، استلام الحساب من الزبائن والإجابة على الهاتف. لا تتحدث سوى عند الضرورة. ودائماً ما ترتدي الفستان الأسود نفسه. ثمة شيء بارد وقاس بشأنها، إذا جعلتها تطفو على البحر في الليل، فإنها على الأرجح ستغرق كل ما يمر بالقرب منها.

[مسلسل تلفزيوني مأخوذ عن رواية لتشارلز ديكنز تحمل نفس الاسم (المترجم)]

يبدو مدير المطعم في أواخر العقد الخامس، طويل وعريض المنكبين توحي بنيته بأنه كان رياضياً في شبابه، لكن بدأت الشحوم الزائدة تتراكم حول بطنه وذقنه. وقد بدا شعره القصير يخف في أعلى رأسه، تعبق منه رائحة العازب الذي تتقدم به السن كورق الصحف الذي تم تخزينه في دُرج مع دواء السعال. كان لديها عم عازب له مثل رائحته.

دائماً ما يرتدي بذلة سوداء وقميصاً أبيضاً، وربطة عنق فراشية الشكل ليست تلك المزودة بإبزيم، إنما واحدة حقيقية، تُعقد يدوياً، كانت مقدرته على ربطها

بإحكام وبطريقة مثالية دون النظر في المرآة مصدر فخر له. تمثّل عمله في ملاحظة وصول الزبائن، ومراقبة الحجوزات، ومعرفة أسماء الزبائن المنتظمين وتحيتهم بابتسامة، والاصغاء لشكاوي الزبائن باحترام وتفهم ، و إسداء النصائح حول النبيذ بحكم خبرته، والإشراف على عمل النادلات والعمال. كان يؤدي واجباته ببراعة وجد يوماً بعد يوم. وقد كانت مهمته الخاصة توصيل العشاء إلى غرفة مالك المطعم.

*

قالت : "لدى المالك غرفته الخاصة بالطابق السادس في نفس المبنى. شقة أو مكتب، أو شيء كهذا"

بطريقة ما وجدنا أنفسنا نتحدث عن عيد ميلادينا العشرين، وكيف مر علينا ذلك اليوم. يتذكر معظم الناس يوم بلغوا العشرين من أعمارهم، وقد كان عيد ميلادها العشرين قبل أكثر من عشرة أعوام.

قالت: "لم يُظهر المالك وجهه في المطعم قط، كان الشخص الوحيد الذي يراه هو المدير، الذي كانت مهمته الخاصة به أن يذهب إليه بالعشاء، لم يعرف أي من الموظفين الآخرين كيف يبدو شكله"

"إذاً، كان المالك يحصل على خدمة توصيل الطعام إلى المنزل من مطعمه الخاص به"

قالت: "صحيح، كل ليلة عند الثامنة، على المدير أن يأخذ العشاء إلى غرفته. وقد كان ذلك أكثر أوقات المطعم ازدحاماً، لذلك كان اختفاء المدير في ذلك الوقت تحديداً يمثل مشكلة لنا، لكن لم يكن هناك خيار آخر، فهي الطريقة التي كانت تسير بها الأمور. كانوا يحمّلون العشاء على إحدى تلك العربات التي تستخدمها الفنادق في خدمة الغرف، ثم يدفعها المدير إلى داخل المصعد وهو يرسم على وجهه

تعابير الاحترام. وبعد ذلك بخمسة عشرة دقيقة، يعود بيدين خاليتين. وبعد ساعة، يصعد مجدداً ويحضر العربة مع الأطباق والكؤوس الفارغة. يحدث هذا الروتين يومياً، كعمل الساعة تماماً. بدا لي أمراً غريباً عندما رأيته لأول مرة كأنه طقس ديني من نوع ما، أتعرف؟ إلا أنني اعتدت على الأمر بعد فترة، ولم أعد اشغل بالي به."

*

دائماً ما كان المالك يتناول الدجاج، تتغير الوصفة وأطباق الخضروات الجانبية من يوم لآخر، لكن الدجاج هو الطبق الرئيس دائماً. ذات مرة أخبرها أحد الطهاة الشباب انه قد حاول يرسل طبق الدجاج المشوي عينه لمدة أسبوع، فقط ليرى ما سيحدث، لكن لم يكن ثمة احتجاج. بطبيعة الحال، كل الطهاة يريدون تجريب طرق مختلفة في إعداد الطعام، وكان كل طاه ي جديد يتحدى نفسه لابتكار أساليب جديدة في إعداد الدجاج. كانوا يصنعون مختلف أنواع الصلصة الفاخرة ويجربون الدجاج من شركات مختلفة، لكن كل مجهوداتهم كانت تذهب أدراج الرياح، كأنهم يلقون الحصى داخل بئر لا قرار لها. استسلموا جميعهم وصاروا يرسلون طبق دجاج عادي كل يوم، وهو ما كان مطلوباً منهم أصلاً.

بدأ العمل كالمعتاد في يوم عيد ميلادها العشرين، 17 نوفمبر. كانت السماء ترسل زخات خفيفة متقطعة منذ بعد الظهر، و بدأت تهطل بغزارة بحلول المساء عند الخامسة. جمع المدير العاملين ليوضح لهم أطباق اليوم الخاصة، وقد كان مطلوباً من النادلات أن يحفظنها كلمة كلمة، دون الاستعانة بقصاصات الورق: لحم عجل ميلانو، وباستا مع السردين والكرنب، وهلام البندق. أحياناً يتقمص المدير دور زبون ويختبرهم بالأسئلة، ثم يتطرق إلى ما سيأكله العاملون أنفسهم، ما كان ليسمح لمَعِدات النادلات أن تزمجر وهن يقفن ليأخذن طلبات الزبائن!

فتح المطعم أبوابه عند السادسة، لكن الزبائن تباطئوا في المجيء نظراً للأمطار الغزيرة، وألغيت بعض الحجوزات. لم ترغب النساء في إفساد ثيابهن بالمطر. تجول المدير حول المكان وهو يزمّ شفتيه، وأخذ العاملون يبددون الوقت بتلميع رشاشات الملح والفلفل أو الثرثرة مع الطاهي حول الطهي.

جالت بعينيها في صالة الطعام حيث يتواجد زبونان فقط عند طاولة قصية. أرهفت السمع إلى موسيقى البيانو التي تنساب بخفة من سماعات السقف وتغلغلت رائحة مطر نهاية الخريف إلى داخل المطعم.

عند السابعة والنصف، بدأ المدير يشعر بأنه ليس على ما يرام، تعثر في طريقه إلى كرسي وتهالك عليه وهو يضغط على معدته كأنه تعرض لإطلاق نار للتو. تشبث عرق دهني بجبهته، وغمغم: "أعتقد أنه علي الذهاب إلى المستشفى.

" لم يكن أمراً مألوفاً أن يتعرض لمشاكل صحية فهو لم يتغيب ولو ليوم منذ أن بدأ العمل في هذا المطعم قبل عشرة أعوام. وقد كان ذلك مصدر فخر له أيضاً أنه لم يتغيب قط بسبب مرض أو إصابة. لكن تقلصات الألم على وجهه أظهرت بوضوح أنه كان في حالة سيئة جداً.

تقدمت خطوات إلى الخارج وأشارت لتاكسي، أسنده أحد الندل وركب معه ليرافقه إلى مستشفى مجاورة. وقبل أن يحني رأسه داخل السيارة، قال لها المدير بصوت أجش: "أريد منك أن تأخذي العشاء إلى الغرفة 604 عند الثامنة، كل ما عليك فعله هو أن تضغطي الجرس، وتقولي 'عشاءك جاهز'، وتتركيه"

قالت: "الغرفة 604، صحيح؟"

كرر: "عند الثامنة، تماماً" تقلص وجهه مجدداً، جلس داخل السيارة وانطلقت به. لم يخف هطول المطر بعد ذهاب المدير. توافد الزبائن على فترات متباعدة. لم تكن هناك أكثر من طاولة أو طاولتين مشغولة في نفس الوقت. لذلك إذا كان على المدير وأحد الندل للغياب، فقد كان هذا وقتاً مناسباً. أحياناً يكون المطعم مزدحماً للغاية فيجد العاملين صعوبة، وهم مكتملين، في تسيير العمل.

جُهزت وجبة المالك عند الثامنة. دفعت عربة خدمة الغرف إلى داخل المصعد وصعدت إلى الطابق السادس. كانت وجبته المعتادة، نصف زجاجة من النبيذ الأحمر وغطاؤها مفتوح قليلاً، وإبريق القهوة، وطبق الدجاج مع خضروات مدخنة وقطع دائرية صغيرة من الخبز، والزبدة. عبقت رائحة الدجاج داخل المصعد الصغير، وامتزجت برائحة المطر. قطرات المطر الصغيرة على أرضية المصعد تلمح إلى ركوب شخص يحمل مظلة مبتلة قبل فترة قصيرة.

دفعت العربة إلى الدهليز، وأوقفتها أمام الباب رقم604، تحققت من ذاكرتها مرتين: 604 هو كذلك، تنحنحت وضغطت الزر بجانب الباب لكن لم يرد أحد ظلت واقفة في مكانها لعشرين ثانية، وما أن همّت بضغط الزر ثانية، فتح الباب للداخل، وأطل منه رجل عجوز ونحيل، كان أقصر منها بحوالي أربع أو خمس بوصات، يرتدي بذلة داكنة وربطة عنق، بدت ربطة العنق الصفراء الضاربة للبني على قميصه الأبيض كأوراق شجر ذابلة، كان في غاية النظافة والأناقة حسن الهندام، ينسدل شعره الأبيض بنعومة، بدا وكأنه على وشك الخروج لحضور تجمع من نوع ما. جعلتها التجاعيد الغائرة على جبهته تفكر بالوِهاد العميقة كما تبدو على صورة جوية.

"عشاؤك يا سيدي" قالت بصوت مبحوح، ثم تنحنحت ثانية بخفوت، يبح صوتها كلما شعرت بالتوتر.

"عشاء؟"

"نعم سيدي ، تعرض المدير لوعكة مفاجئة؛ فاضطررت للمجيء بدلاً عنه وجبتك يا سيدي"

"وعكة، ه ه؟ حقاً!؟"

"شعر بآلام مفاجئة في معدته، وذهب إلى المستشفى، يعتقد أنها قد تكون الزائدة الدودية"

"أوه، هذا ليس أمراً جيداً" قال المدير وهو يمرر أصابعه على تجاعيد جبهته "ليس أمراً جيداً على الإطلاق"

تنحنحت مجدداً وسألته: "هل ادخل وجبتك يا سيدي؟"

"آه، نعم، بالطبع، إذا تمنيتِ ، لا أمانع"

إذا تمنيت؟ قالت لنفسها، يا لها من طريقة غريبة للتعبير، ما الذي يفترض أن أتمناه؟

فتح العجوز الباب حتى النهاية، ودفعت العربة إلى الداخل، كانت الأرضية مغطاة بسجادة رمادية قصيرة بلا منطقة لخلع الأحذية، الغرفة الأولى عبارة عن مكتب كبير، كما لو كانت الشقة مكان عمل أكثر من كونها مكان سكن. تطل النافذة على برج طوكيو المجاور، تُظهر الأضواء خطوط هيكله الفولاذي.

يوجد مكتب ضخم إلى جوار النافذة، وبجانب المكتب مقعد طويل وأريكة لشخصين. أشار إلى منضدة القهوة البلاستيكية أمام الأريكة، فقامت بترتيب وجبته عليها : منديل أبيض أدوات مائدة فضية، إبريق القهوة والكوب، النبيذ وكأس النبيذ، والخبز، والزبدة وطبق الدجاج، والخضار.

"لو تكرمت وأخرجت الأطباق إلى الصالة كالعادة يا سيدي، سأعود لآخذها بعد ساعة" بدا أن كلماتها أيقظته من شروده وهو يتأمل عشاءه بإعجاب "آه، نعم بالطبع سأخرجها إلى الصالة، مع العربة، بعد ساعة إذا تمنيتِ"

نعم، أجابت مع نفسها، حالياً هذا تحديداً ما أتمناه.

"أهناك ما يمكنني فعله من أجلك سيدي؟"

"لا، لا اعتقد ذلك" قال بعد لحظة تفكير.

كان يرتدي حذاءً أسوداً لامعاً، قالت لنفسها، يختار ملابسه بعناية وذوق ويقف منتصباً بالنسبة لسنه.

"حسناً، سأعود إلى عملي يا سيدي"

"لا، انتظري لحظة"

"سيدي؟"

"أتعتقدين أنه يمكنك منحي خمس دقائق من وقتك يا آنستي؟ لدي شيء أود أن أقوله لك"

كان مهذباً جداً في طلبه لدرجة أنها احمرت خجلاً.

قالت: "..اعتقد أنه لا بأس بذلك، إن كانت خمس دقائق فعلاً"

إنه رب عملها رغم كل شيء، وكان يدفع لها بالساعة، ليست المسألة وكأنها تمنحه أو هو يأخذ وقتها. وهذا العجوز لا يبدو كشخص يمكن أن يؤذيها.

"بالمناسبة، كم تبلغين من العمر؟" سألها العجوز وهو يقف بجوار المنضدة عاقداً ذراعيه وينظر داخل عينيها مباشرة.

"في العشرين الآن"

"العشرين الآن" كرر كلامها وهو يضيق عينيه "عشرين الآن، متى تعنين؟"

"حسناً، لقد بلغت العشرين للتو" قالت بعد تردد قصير، ثم أردفت "اليوم هو عيد ميلادي يا سيدي"

"فهمت" قال وهو يمسح ذقنه وكأن ذلك فسر له أشياء كثيرة "اليوم، أليس كذلك؟ اليوم هو عيد ميلادك العشرين؟"

أومأت بصمت.

"بدأت حياتك في هذا العالم قبل عشرون عاماً من اليوم"

"أجل سيدي، هذا صحيح"

"فهمت، فهمت. هذا رائع. حسناً، إذاً، عيد ميلاد سعيد"

"شكراً جزيلاً" قالت ثم أدركت ببطء أن هذه أول تهنئة تتلقاها، بالطبع إذا اتصل والداها من أويتا، قد تجد منهما رسالة على المجيب الآلي عندما تعود للمنزل.

قال: "حسناً، حسناً، هذه مناسبة تدعو للاحتفال بالتأكيد، لم لا نشرب نخبك؟ يمكننا شرب هذا النبيذ الأحمر"

"شكراً سيدي، لكنني لا استطيع؛ أنا اعمل الآن"

"أوه، ما الضرر الذي ستسببه رشفة صغيرة؟ لن يلومك أحد إذا قلتُ إنه لا بأس بذلك، إنه مجرد تعبير عن الاحتفال"

أزال العجوز الغطاء، وصبّ لها قليلاً من النبيذ في الكأس، ثم أخذ كأساً عادية و صب لنفسه قليلاً.

قال: "عيد ميلاد سعيد، أمنياتي لك بحياة غنية ومثمرة، وألّا يكون هناك ما يلقي عليها ظلالاً قاتمة"

لامسا كأسيهما.

وألّا يكون هناك ما يلقي عليها ظلالاً قاتمة، رددت كلماته مع نفسها، لماذا اختار كلمات غير معتادة كهذه لأمنيته لها في عيد ميلادها؟

"يأتي عيد ميلادك العشرون مرة واحدة في العمر يا آنستي، إنه يوم لا يمكن استبداله"

"نعم سيدي، اعرف ذلك" قالت ذلك وأخذت رشفة واحدة حذرة من النبيذ.

" وهنا، في يومك المميز، تكبدتِ عناء إحضار العشاء لي كجنية لطيفة طيبة القلب"

"أؤدي عملي فحسب يا سيدي"

"لكن مع ذلك" قال العجوز وهو يهز رأسه "لكن مع ذلك إنه لطف منك يا آنستي"

جلس العجوز على الكرسي الجلدي جوار مكتبه، وأومأ إليها ناحية الأريكة جلست على حافة الأريكة بحذر شديد، وكأس النبيذ لا يزال في يدها، جذبت تنورتها و ركبتيها ملتصقتين، وهي تتنحنح مجدداً. رأت قطرات المطر تنحدر في شكل خطوط على زجاج النافذة. كانت الغرفة هادئة بصورة غريبة.

"يصادف اليوم عيد ميلادك العشرين، وفوق ذلك جلبت لي هذه الوجبة الدافئة الرائعة" قال العجوز وكأنه يعيد التحقق من الوضع، ثم وضع كأسه على سطح المكتب بصوت خافت "لابد أنها مصادفة من نوع خاص، ألا تعتقدين ذلك؟"

دون اقتناع، تمكنت من الإتيان بإيماءة.

"ولذلك" قال وهو يتحسس عقدة ربطة عنقه ذات لون الأوراق الذابلة "أشعر بأنه من الضروري بالنسبة لي أن أمنحك هدية عيد ميلاد، عيد ميلاد مميز يستوجب هدية مميزة"

هزت رأسها بارتباك وقالت: "لا، أرجوك سيدي، لا تلق بالاً للأمر، كل ما فعلته هو أنني جلبت وجبتك كما أمرت"

رفع العجوز راحتي يديه ناحيتها "لا يا آنستي، أنت لا تلقي بالاً للأمر. *"الهدية"* التي أفكر بها ليست شيئاً ملموساً، ليست عليها رقعة توضح سعرها"

وضع يديه على المكتب وأخذ نفساً عميقاً "لأكون واضحاً معك ما أريد أن افعله لملاك جميل مثلك هو أن أحقق لك أمنية قد تكون لديك. أي شيء، كل ما تتمنيه افترض أن لديك أمنيه كهذه"

"أمنية؟" سألت بحلق جاف.

"أمر تودين حدوثه يا آنستي، إن كانت لديك أمنية، أمنية واحدة، سأجعلها تتحقق هذه هي هدية عيد الميلاد التي يمكنني منحك إياها، لكن من الأفضل أن تفكري بها ملياً؛ لأنه يمكنني تحقيق أمنية واحدة فقط" ورفع إصبعاً واحدة في الهواء "واحدة فقط ، لا يمكنك أن تغيري رأيك بعد ذلك وتسترجعيها"

لم تحر جواباً ، أمنية واحدة؟. تبعثرت قطرات المطر على زجاج النافذة بفعل الرياح. أثناء صمتها، ظل العجوز يحدق في عينيها دون أن يقول شيئاً، شعرت بنبض في أذنيها.

"علي أن أتمنى شيئاً واحداً، وسوف يتحقق؟"

بدلا من إجابة سؤالها- ويداه لا تزالان جنباً إلى جنب على المكتب- ابتسم فحسب ابتسامة بريئة ودودة.

"هل لديك أمنية يا آنستي، أم لا؟" سألها بلطف.

*

"ما أقوله حدث بالفعل" قالت وهي تنظر إلي مباشرة "لا اختلق كل هذا"

قلتُ: "بالطبع لا" لم تكن من الذين يلفقون القصص من نسج خيالهم "إذا.. هل تمنيتِ أمنية؟"

واصلت النظر إلي لبرهة، ثم أطلقت تنهيدة صغيرة. وقالت: "لا تفهمني بطريقة خاطئة، لم آخذه على محمل الجد بنسبة 100%، أعني، في سن العشرين أنت لا تعتقد أنك تعيش في حكاية خيالية. مع ذلك إذا كانت تلك مزحة منه، علي أن أقر بأنه كان بارعاً."

"كان عجوزاً أنيقاً في عينيه وميض غريب، فقررت أن أجاريه، فقد كان عيد ميلادي العشرين، بغض النظر عن كل شيء، فكرت انه لابد أن يحدث شيء غير عادي في ذلك اليوم، لم تكن مسألة تصديق أو عدم تصديق"

أومأت دون أن أتفوه بشيء.

"أنا متأكدة من أنك ستتفهم شعوري وقتها، يوم عيد ميلادي العشرين يشارف على نهايته، دون أي شيء مميز، لم يهنئني أي أحد، وكل ما افعله هو حمل التورتيليني مع صلصة سمك الأنشوفة إلى طاولات الزبائن"

أومأت ثانية "لا تقلقي، أتفهم ذلك"

"لذلك، تمنيت أمنية"

*

ثبت العجوز نظراته عليها، دون أن يقول شيئاً، يداه لا تزالان على المكتب، على سطح المكتب أيضاً ملفات سميكة يحتمل أنها دفاتر الحسابات، بالإضافة إلى أدوات الكتابة، وروزنامة، ومصباح مظلل بزجاج أخضر، تتمدد يداه الصغيرتين بينها وتبدوان كأنهما جزء من مكونات سطح المكتب.

انهمر وابل عنيف من المطر على زجاج النافذة، وشقّت أضواء برج طوكيو طريقها خلال الرذاذ المتناثر.

تعمّقت التجاعيد على جبهته قليلاً "أهذه هي أمنيتك؟"

قالت: "نعم، هذه أمنيتي"

"إنها أمنية غير مألوفة من فتاة في مثل سنك، كنت أتوقع شيئاً مختلفاً"

"إن لم تكن جيدة، سأتمنى شيئاً آخر" قالت وهي تتنحنح "لا أمانع، سأفكر بشيء آخر"

"لا، لا" قال العجوز رافعاً يديه وهو يلوح بهما كعلمين "ليس هناك ما يعيب أمنيتك إطلاقا، إنها مفاجئة قليلاً بالنسبة لي يا آنستي، ألا ترغبين في شيء آخر؟ مثلاً لنقل أن تصبحي أكثر جمالاً، أكثر ذكاءً، أو أكثر ثراءً؟ هل فعلاً لا تريدين أشياء كهذه؟ وهو ما كانت لتتمناه أي فتاة عادية."

تريثت لحظات بحثاً عن الكلمات المناسبة، ظل العجوز في انتظارها، دون أن يقول شيئاً، وقد عادت يداه على المكتب مجدداً.

"بالطبع أريد أن أصبح أكثر جمالاً أو ذكاءً أو ثراءً، لكنني لا استطيع أن أتخيل ما قد يحدث لي إذا ما تحققت هذه الأشياء. قد تكون أكثر مما يمكنني التعامل معه، لا زلت لا اعرف خبايا هذه الحياة"

"فهمت، فهمت" قال العجوز وهو يشبك أصابعه ويفصلها

"إذاً، هل أمنيتي مقبولة؟"

قال: "بالطبع، بالطبع. لن تكون مشكلة بالنسبة لي"

فجأة، ثبت العجوز عينيه على نقطة في الهواء، تعمقت تجاعيد جبهته التي قد تكون تجاعيد دماغه نفسه أثناء اعتصاره للتركيز في أفكاره. بدا كأنه يحدق في شيء ما، ربما ذرات تكاد تكون خفية وهي تغوص للأسفل ببطء في الهواء، فتح ذراعيه ونهض من كرسيه قليلاً، وصفق بيديه بخفة ثم استرخى في كرسيه ثانية وهو يمرر أطراف أصابعه بتأني على تجاعيد حاجبه كأنه يريد تخفيفها، ثم التفت إليها مبتسماً.

قال: "هذا سيفي بالغرض، تم تحقيق أمنيتك"

"بهذه السرعة؟"

"نعم، كانت يسيرة، تم تحقيق أمنيتك يا آنستي الجميلة، عيد ميلاد سعيد، يمكنك العودة إلى العمل الآن، لا تقلقي، سأخرج العربة إلى الصالة"

استقلت المصعد هبوطاً إلى المطعم، بيدين خاليتين، وهي تشعر بأنها خفيفة بصورة غريبة، وكأنها تسير على زغب من نوع ما.

"هل أنت بخير؟ تبدين وكأنك منتشية قليلاً" خاطبها النادل الأصغر.

ابتسمت له بغموض وهزت رأسها "آه، حقاً؟ لا، أنا بخير"

"حدثيني عن المالك، كيف يبدو؟"

"لا اعرف، لم تتسنّ لي الفرصة لأنظر إليه جيداً" قالت لاختصار الكلام.

بعد ساعة صعدت لجلب العربة، وجدتها في الصالة، كل الأواني في مكانها رفعت الغطاء لتجد أن الدجاج والخضار قد اختفيا، وإبريق القهوة وزجاجة النبيذ فارغين، ظل باب الغرفة 604 واقفاً في مكانه مغلقاً دون تعابير، حدقت إليه لبرهة وهي تشعر بأنه سينفتح في أي لحظة، لكنه لم ينفتح. دفعت العربة إلى المصعد، ثم إلى غسالة الأطباق. نظر الطاهي إلى الطبق، فارغ كالعادة، وأومأ إيماءة بلا معنى.

*

قالت: "لم أرَ المالك ثانية ولا مرة، اتضح أن المدير كان يعاني آلام معدة عادية وعاد إلى توصيل وجبة المالك بنفسه في اليوم التالي. تركت العمل بعد رأس السنة

ولم أعد إلى ذلك المكان قط . لا ادري، لكنني شعرت أنه من الأفضل ألّا اقترب منه، كأنه حدس ما"

أخذت تتلاعب بحامل الكأس، وهي شاردة بعيداً.

"أحياناً يراودني شعور بأن كل ما حدث معي في عيد ميلادي العشرين كان نوعاً من الوهم، كأنما حدث شيء ما جعلني اعتقد أن الأشياء التي حدثت لم تحدث حقاً. لكنني متيقنة تماماً من أنها حدثت فعلاً، لا زلت قادرة على استحضار كل قطعة أثاث و تفاصيل الغرفة 604، ما حدث لي هناك حدث لي فعلاً، كما أنه يعني الكثير بالنسبة لي"

ظللنا صامتين لفترة، نرتشف من كأسينا وكل منا مع أفكاره الخاصة.

سألتها: "أيمكنني أن أسألك أمراً؟ أو تحديداً، هما أمران"

"بالطبع، أظنك ستسألني عما تمنيته عندئذٍ، هذا أول ما سترغب في معرفته"

"لكن يبدو أنكِ لا تريدين الحديث عن ذلك"

"حقاً؟"

أومأتُ.

وضعت حامل الكأس وضيقت عينيها وكأنها تحدق إلى شيء بعيد "يفترض ألّا تخبر أي شخص عما تمنيته، كما تعرف"

قلت : "لن أجبرك على ذلك، مع إنني أود أن اعرف إذا ما تحققت أمنيتك أم لا وأيضاً- أياً كانت الأمنية نفسها- إذا ما كنت قد ندمت على اختيارك لأمنيتك، هل تحسّرتِ لأنك لم تتمني شيئاً آخر؟"

"للإجابة عن سؤالك الأول، نعم وأيضاً لا، أمامي حياة طويلة لأعيشها على الأرجح ولا اعرف كيف سينتهي بي المطاف"

"إذاً فهي أمنية تستغرق وقتاً لتتحقق؟"

"يمكنك قول ذلك، سيلعب الوقت دوراً هاماً"

"مثل طهي أطباق معينة؟"

أومأتْ.

فكرتُ بذلك للحظة، لكن كل ما خطر لي كانت صورة فطيرة عملاقة داخل فرن منخفض الحرارة.

"وماذا عن السؤال الثاني؟"

"ماذا كان مجدداً؟"

"هل ندمت على اختيارك لأمنيتك؟"

أعقبت لحظات من الصمت سؤالي، بدت نظراتها سطحية وشاردة، ومض شبح ابتسامة على طرفي شفتيها، ما ولّد لدي شعوراً مكبوتاً بالاستسلام.

قالت : "أنا متزوجة الآن، بمحاسب ناجح، يكبرني بثلاث سنوات ولدينا طفلين صبي وفتاة ونملك كلب صيد أيرلندي ضخم، أقود سيارة آودي العب التنس مع صديقاتي مرتين في الأسبوع، هذه الحياة التي أعيشها الآن"

"تبدو جيدة جداً بالنسبة لي"

"حتى لو كانت هناك انبعاجتان على مصد الآودي؟"

"صُنعت المصدات لتتعرض للإنبعاج"

قالت: "هذه عبارة جديرة بالكتابة على ملصق يوضع على مصد سيارة *'صنعت المصدات لتتعرض للإنبعاج'* "

"ما أحاول قوله هو" قالت برقة وهي تفرك حلمة أذنها، كانت حلمة جميلة الشكل "بغض النظر عما نتمناه، مهما ذهبنا بعيداً في أمنياتنا، لا نستطيع أن نكون غير ما نحن عليه، هذا كل ما في الأمر"

قلت: " هذه عبارة أخرى جديرة بالكتابة على ملصق. مهما فعلنا، لا نستطيع تغيير ما نحن عليه"

أطلقت ضحكة صاخبة جذلة، واختفى شبح الابتسامة ذاك، وضعت مرفقها على طاولة البار ونظرت إلي "قل لي، ما الذي كنت لتتمناه لو كنت في مكاني؟"

"أتعنين في ليلة عيد ميلادي العشرين؟"

"نعم"

فكرتُ بالأمر قليلاً، لكن لم تخطر ببالي أية أمنية.

اعترفت "لا استطيع أن أفكر بأي شيء، أنا بعيد جداً عن عيد ميلادي العشرين"

"أحقاً لا تستطيع أن تفكر بأي شيء؟"

أومأت.

"ولا شيء واحد؟"

"ولا شيء واحد"

نظرت إلى داخل عيني مباشرة وقالت: "هذا لأنك تمنيت أمنيتك بالفعل."

طائر الغطــاس

Dabchick

عندما بلغتُ أسفل درج خرساني ضيق، ألفيت نفسي في مواجهة رواق يمتد أمامي مد بصري، رواق طويل يعلوه سقف شاهق جعله يبدو كمجرور جاف أكثر من كونه رواقًا، ليست به ديكورات من أي نوع، كان رواقاً بمعنى الكلمة، كل ما فيه يقول بأنه رواق، ولا شيء سوى رواق. كانت الإضاءة واهنة وغير متساوية كما لو أن الضوء نفسه قد وصل وجهته أخيرًا بعد تخطيه لسلسة من العقبات الكأداء، كان عليه أن يشق طريقه خلال طبقة من غبار أسود ثخين شكلت قشرة على أنابيب مصابيح الفلورسنت المثبتة على مسافات منتظمة على السقف، وثلاثة مصابيح منها محترقة. كنت بالكاد أرى يدي أمام وجهي، المكان غارق في الصمت. وكان الصوت الوحيد في ذلك الممر المتجهم، يصدر من حذاء التنس الخاص بي وهو يحتك بالأرضية الخرسانية.

واصلت السير لحوالي مائتي ياردة، أو ثلاثمائة ياردة، ربما نصف ميل. دون تفكير، أسير فحسب، لا وجود للزمن، أو المسافة، ليس ثمة إحساس بأنني أتحرك للأمام بأي شكل، لكن لابد أنني كنت أتحرك، فجأة وجدت نفسي أقف عند تقاطع على شكل T .

تقاطع على شكلT ؟

نقبت داخل جيب سترتي بحثًا عن البطاقة البريدية المجعدة، وجالت عيناي بين سطورها: *سر حتى نهاية الرواق، حيث يتقاطع مع رواق آخر بزاوية قائمة*

وستجد بابًا. حدقت إلى الجدار أمامي، لكن لم تكن ثمة علامة على وجود باب، أو علامة على وجود باب سابقًا، وليس ثمة ما يشير إلى أنه سوف يتم تركيب باب في هذا الجدار. كان جداراً خرسانياً أجرداً، ليس لديه ما يميزه سوى ما لدى الجدران الخرسانية الأخرى، ما من أبواب ما ورائية، أو أبواب رمزية، أو مجازية، لا شيء مررت راحة يدي على الجدار، لكنه كان مجرد جدار أملس .

لابد من وجود خطأ ما، كنت متأكدًا.

دخنت سيجارة متكئاً على الجدار ، وماذا الآن؟ هل أمضي قدمًا أم أعود أدراجي؟

ليس وكأنني لم أكن متأكداً من الإجابة، لم يكن لدي خيار، كان علي أن أواصل المسير. سئمت من كوني فقيرًا، سئمت من دفع الفواتير الشهرية ومن النفقة الزوجية، ومن شقتي المكتظة، ومن الصراصير في المغسلة ومن قطار الأنفاق في ساعة الذروة. سئمت من كل شيء والآن، على الأقل، حصلت على وظيفة لائقة سيكون العمل سهلاً، والراتب عظيمًا وسوف أحصل على علاوة مرتين في السنة، وإجازات صيفية طويلة. لن أستسلم الآن، فقط لأنني أجد صعوبة في العثور على باب سخيف، إذا لم أتمكن من إيجاد الباب هنا، سأواصل السير حتى أجده، ببساطة.

أخرجتُ عملة معدنية فئة عشرة ينات من جيبي وقذفتها في الهواء: صورة. انعطفت إلى الرواق الأيمن.

انعطف الممر إلى اليمين مرتين، ومرة إلى اليسار، نزلت للأسفل عشر درجات، وانعطفت يمينًا مجددًا. ذكرني الهواء هنا بهلام القهوة، كان باردًا وثخينًا بصورة غريبة. فكرت بالراتب المحتمل، وبالهواء المنعش في مكتب مكيف الهواء

الحصول على وظيفة كان أمرًا رائعًا. جعلت أغذ السير مواصلاً طريقي في الرواق.

أخيرًا لاح باب أمامي، من هذه المسافة، بدا كطابع بريدي قديم ومهترئ، لكن مع اقترابي منه، بدأ يأخذ شكل الباب المألوف، حتى لم يعد ثمة مجال للشك.

تنحنحت وتقهقرت خطوة للوراء بعد طرق خفيف على الباب، مرت خمس عشرة ثانية، لا شيء. طرقت مجددًا، بصوت أعلى هذه المرة، ثم خطوت للوراء مجدداً، لا شيء.

كان الهواء يتخثر تدريجيًا من حولي.

تقدمت خطوة متوجساً لأطرق الباب للمرة الثالثة، فانفتح الباب دون صوت بصورة طبيعية، كأنما هب نسيم ليدير مفاصله، إلا أنه لم تكن للطبيعة علاقة بالأمر بالطبع. سمعت تكة قِفل الباب أولاً، ثم ظهر رجل أمامي.

كان في منتصف العشرينات، وربما يكون أقصر مني ببوصتين، يقطر الماء من شعره المغسول للتو، وكل ما كان يرتديه هو رداء حمام كستنائي، ساقاه بيضاوان بصورة غير طبيعية، وقدماه صغيرتان كقدمي طفل، وملامحه خالية من أي تعبير كلوح للتدرب على الكتابة باليد، لكن شفتيه تعلوهما ابتسامة باهتة معتذرة، لم يكن رجلا سيئًا على الأرجح.

قال وهو يجفف شعره بمنشفة:

"آسف، كنت في الحمام"

نظرت إلى ساعتي في ردة فعل لا إرادية.

"إنها قاعدة، علينا أن نستحم بعد الغداء"

"فهمت"

"هل لي أن أسألك عن طبيعة زيارتك؟"

سحبت البطاقة البريدية من جيب سترتي ومددتها للرجل، تناولها بأطراف أصابعه لئلا تبتل وقرأها عدة مرات.

قلت: "أظنني متأخر خمس دقائق، آسف"

أومأ و أعاد لي البطاقة.

"أمـمـم، سوف تبدأ العمل هنا إذاً؟"

"هذا صحيح"

"أمر غريب، لم أسمع بشأن أي تعيينات جديدة، علي أن أعلن قدومك لرئيسي هذا هو عملي، كما تعرف، كل ما علي فعله هو أن أجيب الباب وأن أعلن قدوم الزائرين لرئيسي"

"حسنا، جيد. هلا أعلنت قدومي من فضلك؟"

"بالطبع. أخبرني بكلمة المرور فحسب"

"كلمة المرور؟"

"لم تكن تعلم بأن ثمة كلمة مرور؟"

هززت رأسي: "لم يخبرني أحد بشأن أية كلمة مرور"

"في هذه الحال ليس بوسعي مساعدتك، رئيسي متشدد للغاية بهذا الخصوص يجب ألا أدخل أي أحد لا يعرف كلمة المرور"

لم تكن لدي فكرة عن ذلك، سحبت البطاقة البريدية من جيبي مجددًا وتفحصتها لكن بلا جدوى. لم يذكر بها أي شيء متعلق بكلمة مرور"

قلت: "على الأرجح نسوا أن يكتبوها، الإرشادات إلى هنا كانت غامضة قليلاً أيضاً. إذا أعلنت قدومي لرئيسك، أنا متأكد من أن كل شيء سيكون على ما يرام

لقد تم تعييني للعمل هنا منذ اليوم، أنا متأكد أن رئيسك يعلم كل شيء عن الأمر إذا أعلنت وصولي فحسب..."

"هذا ما احتاج لكلمة المرور لفعله" قال وهو يتحسس نفسه بحثاً عن سيجارة ليكتشف أن رداء الحمام ليس به جيوب ، أعطيته واحدة مما لدي وأشعلتها له بقداحتي.

قال: "شكراً، هذا لطف منك. هل أنت متأكد أنك لا تتذكر أي شيء قد يكون كلمة مرور؟"

لم املك سوى أن أهز رأسي.

"أنا مثلك، لا أحب أعمال التدقيق هذه، لكن لابد أن رئيسي لديه أسبابه الخاصة. أتفهم ما أعنيه؟ لا أعرف أي نوع من الناس هو، ولم أقابله قط. لكنك تعرف كيف يكون أمثاله. تواتيهم تلك الأفكار الغريبة فجأة ، رجاءً لا تعتبر الأمر شخصيًا ضدك"

"لا، بالطبع لا"

"الذي كان يعمل قبلي هنا، أعلن قدوم أحدهم متعاطفاً معه لأنه زعم أنه نسي كلمة المرور، فطرد في التو واللحظة. وأنت من بين كل الناس تعلم مدى صعوبة إيجاد عمل في هذه الأيام"

أومأت وقلت: "ما رأيك إذاً؟ أيمكنك أن تعطيني تلميحًا؟ تلميحًا صغيرًا فحسب"

نفث الرجل سحابة من الدخان وهو متكئ على الباب.

"آسف، ذلك مخالف للقواعد"

"آه، هيا ما الضرر الذي قد يسببه تلميح صغير؟"

"أجل، لكن إذا تفشى الخبر، سأكون في ورطة كبيرة"

"لن أخبر مخلوقًا، وأنت لن تخبر مخلوقًا، كيف لهم أن يعرفوا بالأمر؟"

كنت في غاية الجدية بشأن هذه الوظيفة، و ما كنت لأستسلم.

بعد شيء من التردد، انحنى الرجل قريبًا من أذني وهمس: "هل أنت مستعد لهذا؟ حسنًا، إنها كلمة بسيطة، شيء له علاقة بالماء، ويمكنك حمله في راحة يدك لكنك لا تستطيع أن تأكله"

الآن حان دوري لإعمال عقلي.

قلت: "صَدَفة"

"خطأ، تبقت لك اثنتان"

"اثنتان ماذا؟"

"محاولتان، إن لم تنجح تكون قد أهدرت فرصك. آسف، لكنني أخاطر بالكثير هنا بمخالفة القواعد هكذا، لا يمكنني أن ادعك تواصل التخمين فحسب"

"ما هو الحرف الأول؟"

"غ"

"اسمع، اقدر لك منحي فرصة كهذه، لكن لم لا تمنحني تلميحًا آخر؟ مثل عدد حروف الكلمة"

قطب وجهه .

"وبعد ذلك ستطلب مني أن أخبرك الكلمة اللعينة كلها"

"لا، لن أفعل ذلك مطلقًا، قل لي عدد حروف الكلمة فحسب"

قال متنهداً: "حسنًا، أربعة، لطالما كان أبي يقول لي: مد يد المساعدة لأحدهم وسيأخذ ذراعك بكاملها"

"أنا آسف، حقاً"

"على أي حال، الكلمة مكونة من أربعة أحرف"

" ذو علاقة بالماء، ويمكن حمله في راحة اليد، لكن لا يمكن أكله"

"هذا صحيح"

"تبدأ بحرف الغين ومكونة من أربعة أحرف"

"صحيح"

حشدت تركيزي لحل الأحجية، وقلت أخيراً:

"الغطاس"

"لا. يمكنك أكل طائر الغطاس على أي حال"

"هل أنت متأكد؟"

"على الأرجح، قد لا يكون طعمه جيدًا"

وأردف بنبرة توحي بعدم الاقتناع الكامل:

"ولا يمكنك حمله في راحة يدك"

قلت: "هل سبق ورأيت غطاسًا من قبل؟"

"لا، لا أعرف شيئًا عن الطيور، خاصة الطيور المائية، نشأت في وسط طوكيو يمكنني أن أخبرك بجميع المحطات على طريق ياماتوتى بالترتيب لكنني لم أرَ غطاسًا قط"

أنا أيضاً لم أره بالطبع، حتى إنني لم أكن اعرف أنني كنت اعرف الكلمة إلى أن سمعت نفسي أنطقها. لكن كلمة الغطاس مكونة من أربعة أحرف وتنطبق عليها بقية التلميحات.

أصررت: "لابد أن تكون *الغطاس*، طيور الغطاس بحجم راحة اليد طعمها مريع للغاية، لدرجة أنك لا يمكنك حمل كلب على أكلها"

"مهلاً يا هذا، لا يهم ما تقوله. *الغطاس* ليست كلمة المرور ، يمكنك أن تجادل كما تشاء، لكنها ليست الكلمة الصحيحة"

"لكنها مستوفية لكل الشروط: له علاقة بالماء، ويمكن حمله في راحة اليد ولا يمكنك أكله، وأربعة أحرف، إنها الكلمة المثالية"

"ثمة أمر واحد"

"ما هو؟"

"*الغطاس* ليس كلمة المرور"

"حسناً، ما هي إذاً؟"

أمسك لسانه في آخر لحظة

"لا يمكنني إخبارك بها"

قلت له بكل ما لدي من برود:

"لأنها غير موجودة، ليس هناك كلمة أخرى لشيء متصل بالماء ويمكن حمله في راحة اليد، ولا يؤكل"

قال وهو على وشك البكاء:

"لكنها موجودة"

"لا توجد"

"توجد"

"لا يمكنك إثبات ذلك، و*الغطاس* مستوفية لكل الشروط"

"أعرف . لكن مع ذلك، قد يكون ثمة كلب في مكان ما يحب أكل طيور الغطاس"

"حسناً، إذا كنت ذكياً لهذه الدرجة، قل لي أين يمكن إيجاد ذلك الكلب؟ أي نوع من الكلاب؟ أريد دليلاً ملموسًا"

تأوه منهاراً.

أردفت: "أعرف كل ما يمكن معرفته عن الكلاب، ولم أرَ- مطلقًا- كلبًا يحب أكل طيور الغطاس بحجم راحة اليد"

تنهد متذمراً: "هل مذاقها سيء لهذه الدرجة؟"

"مريع، فظيع للغاية!"

"هل تذوقتها من قبل؟"

"لا، إطلاقا. أتتوقع مني أن أضع شيئاً مقرفًا كذلك في فمي؟"

"حسناً، لا، لا أظن ذلك"

"على أي حال، أريد منك أن تعلن حضوري لرئيسك. *الغطاس.*"

قال وهو يمسح شعره مجدداً بمنشفته:

"أنا استسلم، سأحاول لكنني متأكد من أن ذلك لن يفيدك"

قلت: "شكرًا، أنا مدين لك"

قال: "لكن قل لي، هل هناك شيء بحجم راحة اليد اسمه الغطاس؟"

"نعم، بلا شك، إنه موجود في مكان ما"

قلت مع إنني لا أعرف كيف انبثقت الكلمة في ذهني.

مسح الغطاس بحجم راحة اليد نظارته بقماشة مخملية، ثم أطلق تنهيدة أخرى كان ضرسه الأسفل بالجهة اليمنى ينبض مسبباً له ألمًا مبرحًا. قال لنفسه، زيارة أخرى لطبيب الأسنان؟ لا يمكنني احتمال الأمر أكثر من هذا، هذا العالم مكان بائس: أطباء أسنان، ضرائب، أقساط سيارة، مكيفات هواء معطلة... اسند رأسه

إلى مقعده الجلدي الوثير، ثم أغمض عينيه وأخذ يفكر بالموت، كان الموت هادئًا مثل قاع المحيط، وجميلاً كوردة في شهر مايو، كان الغطاس يفكر بالموت كثيرًا هذه الأيام. في ذهنه، رأى نفسه مستمتعاً براحته الأبدية.

"هنا يرقد الغطاس بحجم راحة اليد" هذا ما تقوله الكلمات المنقوشة على شاهد القبر.

عندها أطلق جهاز الاتصال الداخلي طنيناً

صاح في الجهاز بغضب: "ماذا !"

جاء صوت البواب: "يريد أحدهم رؤيتك يا سيدي، يقول أنه من المفترض أن يبدأ العمل هنا اليوم ويعرف كلمة المرور"

تجهم الغطاس بحجم راحة اليد ونظر إلى ساعة معصمه.

"متأخرًا خمس عشرة دقيقة"

الحجر ذو شكل الكلية الذي يتحرك يوميا

The Kidney-shaped Stone That Moves Everyday

كان جونبي في السادسة عشرة من عمره عندما أدلى والده بذلك التصريح المفاجئ. صحيح أنهما كانا أب وابنه، تسري في عروقهما الدماء نفسها، لكنهما لم يكونا مقربين بحيث يتجاذبا أطراف الحديث بعفوية. وقد كان من النادر جدًا من جهة والد جونبي أن يقدم له آراءه في الحياة والتي (ربما) يمكن أن نطلق عليها آراءً فلسفية. لذلك حديث ذلك اليوم سيظل محفوراً في ذاكرته حتى بعد أن ينسى مناسبته.

"من بين النساء اللاتي يلتقي بهن الرجل في حياته، هنالك ثلاث فقط يكنّ ذوات معنى حقيقي بالنسبة له، لا أكثر ولا أقل" قال والده، أو بالأحرى، صرّح. كان يتحدث بتؤدة، لكن بيقين مطلق، وكأنه يشير إلى أن الأرض تستغرق عاماً لتكمل دورتها حول الشمس. استمع جونبي بصمت، جزئيًا لأن حديث والده كان مفاجئًا لدرجة أنه لم يخطر له شيء ليقوله لحظتها.

أردف والده: "على الأرجح سوف ترتبط بكثير من النساء في المستقبل، لكنك ستهدر وقتك إذا كانت المرأة غير مناسبة لك، أريدك أن تتذكر هذا"

لاحقاً، انبثقت عدة أسئلة في ذهن جونبي الشاب: هل التقى والدي بنسائه الثلاث؟ هل أمي واحدة منهن؟ إن كان الأمر كذلك، ماذا حدث مع الإثنتين الأخريتين؟ لكنه لم يكن قادراً على توجيه هذه الأسئلة لوالده؛ كما هو مشار إليه آنفاً، فهما لم يكونا مقربين ويتبادلان الحديث من القلب إلى القلب.

عندما بلغ جونبي الثامنة عشرة، غادر المنزل والتحق بالجامعة في طوكيو حيث ارتبط بعدة نساء بمرور الوقت، إحداهن كانت ذات (معنى حقيقي) بالنسبة له. إلا أنه قبل أن يتمكن من البوح بمشاعره (بطبيعته يستغرق وقتاً أطول من الآخرين للتعبير عن مشاعره) تزوجت بصديقه المفضل، وأصبحت أمًا بعد مضي وقت ليس بالطويل. لذلك في الوقت الحالي، يجب استبعادها من قائمة الاحتمالات التي تقدمها الحياة لجونبي. كان عليه أن يتجلّد ويقوم بمحوها من ذهنه. ونتيجة لذلك، تقلص عدد النساء المتبقيات اللاتي قد يكن لديهن معنى حقيقي في حياته- إذا سلّم بنظرية والده- إلى اثنتين.

في كل مرة يقابل فيها جونبي امرأة جديدة، كان يسائل نفسه، هل هذه المرأة ذات معنى حقيقي بالنسبة لي؟ وكان هذا السؤال يضعه في موقف حرج، لأنه حتى وهو يأمل (ومن لا يأمل؟) أن يلتقي بامرأة ذات معنى حقيقي بالنسبة له، فقد كان يخشى أن يتسرع في المغامرة بما تبقى لديه من فرص قليلة. ونسبة لفشل تجربته الأولى فقد جونبي ثقته في مقدرته (المقدرة الهامة والحيوية) على التعبير عن الحب في الوقت المناسب وبالأسلوب اللائق.

قد أكون من أولئك الذين يتمسكون بكل ما لا قيمة له في الحياة ويتركون الأشياء الهامة حقاً تنزلق من بين أيديهم، كلما خطرت هذه الفكرة على باله- وهو ما كان يحدث كثيراً- كان قلبه يغوص إلى مكان خالٍ من كل ضوء ودفء.

عندما يواعد امرأة جديدة لبضعة أشهر، كلما بدأ بملاحظة شيء في شخصيتها أو سلوكها، مهما كان تافهاً، أي شيء يثير استياءه. فإنه، في مكان ما في أعماق قلبه، كان يستشعر شيئاً من الارتياح. ونتيجة لذلك اعتاد على إقامة علاقات فاترة وغير مستقرة مع امرأة تلو الأخرى. كل هذه العلاقات كانت تذوب من تلقاء نفسها.

لم يكن قطع العلاقات ينجم عنه خلافات أو شجارات عنيفة؛ لأنه لم يتورط قط مع امرأة يصعب التخلص منها. ودون أن يشعر، كان قد طوّر حدسًا خاصًا فيما يتعلق باختيار النساء اللاتي يناسبنه.

لم يكن جونبي واثقًا إذا ما كانت هذه المقدرة متجذرة في طبيعته الفطرية، أو أنه قد اكتسبها من بيئته وأسلوب حياته. وإذا كان الخيار الثاني هو الصحيح، لابد أن يكون ذلك ثمرة لعنه أبيه. حوالي الوقت الذي تخرج فيه من الجامعة، نشبت بينه وبين أبيه مشادّة عنيفة، قطع على إثرها كل صلاته به. لكن نظرية النساء الثلاث- التي لم يتم تمحيص مبادئها- ظلت متشبثة بذهنه بعناد. في مرحلة ما فكر- في ما يشبه المزاح- في أن يصبح شاذاً، ربما عندها فقط سيتمكن من التحرر من العد التنازلي السخيف هذا. إلا أن النساء فقط – دون أن يكون له يد في الأمر- هن من كن محط اهتماماته الجنسية.

المرأة التالية التي قابلها جونبي كانت أكبر منه، كانت في السادسة والثلاثين وكان جونبي في الحادية والثلاثين. افتتح أحد معارفه مطعماً فرنسيًا صغيراً يطل على الشارع الذي يؤدي إلى خارج وسط طوكيو وكان جونبي مدعوًا لحضور حفل الافتتاح. ارتدى قميصًا حريريًا بلون أزرق غامق، ماركة بيري إليس، مع جاكيت صيفي يتماشى معه. كان يخطط للقاء صديق مقرب له في الحفل، لكن صديقه اعتذر في آخر لحظة. وبالتالي لم يكن لدى جونبي أي أحد ليحادثه. جلس عند البار وحيدًا، وهو يحضُن كأسًا كبيرًا من نبيذ بوردو. وما إن قرر المغادرة وأخذ يمسح الحشد بناظريه بحثًا عن المالك ليودعه، اقتربت منه امرأة فارعة الطول وهي تحمل كوكتيل بلون بنفسجي. أول ما خطر لجونبي عندما وقعت عيناه عليها: *ها هي امرأة ذات وِقفة ممتازة.*

"اخبرني أحدهم هناك أنك كاتب، أهذا صحيح؟" سألت وهي تسند مرفقها على البار

"أفترض ذلك، بطريقة ما"

"كاتب بطريقة ما؟"

أومأ جونبي

"كم كتاباً نشرت حتى الآن؟"

"مجموعتين قصصيتين، وكتاب قمت بترجمته، لم يحقق أي منها نسبة مبيعات عالية"

صوبت إليه نظرة متفحصة سريعة من أعلى رأسه حتى أخمص قدميه وابتسمت برضا واضح

"حسناً، على أي حال، أنت أول كاتب حقيقي أقابله"

"ربما تكون مقابلة كاتب مثيرة للإحباط قليلاً، عازف البيانو قد يعزف لك بعض النغمات، الرسام قد يرسم لك شيئاً، الساحر قد يؤدي لك خدعة ليس هناك الكثير مما يمكن أن يفعله لك كاتب على الفور"

"آه، لا أعرف، ربما يمكنني أن استمتع بهالتك الفنية أو ما شابه ذلك"

"هالة فنية؟"

"ذلك التألق الفريد، شيء لا تجده عند الناس العاديين"

"أنظرُ إلى وجهي في المرآة كل صباح عندما احلق، لكنني لم ألاحظ أي شيء كهذا"

ابتسمت وسألت: "ما نوع القصص التي تكتبها؟"

"يسألني الناس عن ذلك كثيرًا، لكن قصصي لا يمكن وضعها ضمن فئة معينة"

مررت إصبعها على حافة كأسها "افترض أن ذلك يعني أنك تكتب القصص الأدبية الخيالية؟"

"أفترض ذلك، تقولين ذلك بالطريقة التي قد تقولين بها *'رسائل متسَلْسَلة'* "

ابتسمت مجدداً "هل من الممكن أن أكون قد سمعت باسمك من قبل؟"

"أتقرئين مجلات أدبية؟"

هزت رأسها هزة صغيرة بحدّة

"إذًا على الأرجح لم تسمعي به، لست شهيراً لهذه الدرجة"

دون أن تستأذنه، جلست على المقعد المجاور له، ارتشفت ما تبقى من شرابها وأخبرته باسمها: كيري.

خمن جونبي أنها أطول منه ببوصة أو أكثر، كانت لديها سُمرة داكنة وشعرًا قصيرًا، وكان رأسها جميل الشكل. ترتدي سترة من الكتان بلون أخضر شاحب بأكمام مطوية إلى المرفقين، وتنورة متموجة الأطراف تصل للركبة، وتحت السترة ترتدي بلوزة قطنية بسيطة، وعلى الياقة دبوس زيني أنيق. وكان حجم نهديها متوسطاً، مظهرها أنيق دون تكلف. وبدا أن ملابسها إجمالاً تعبر عن شخصية قوية ومستقلة. شفتاها ممتلئتان وقد كانت تحدد نهايات عباراتها بزمّهما أو بمباعدتهما قليلاً، وقد أضفى هذا عليها طابعًا حيويًا. ترتسم على جبهتها ثلاث تجاعيد متوازية كلما توقفت للتفكير بشيء، ثم تتلاشى عندما تنهي تفكيرها.

كان جونبي يعي أنه منجذب إليها، كان ثمة شيء لا يدرك كنهه، لكنه ملح ويثير حماسته، ويضخ الأدرينالين إلى قلبه. بعد إدراكه جفاف حلقه فجأة، طلب كأسًا من البيريه من نادل عابر. وكالعادة بدأ يسائل نفسه، هل تحمل معنى حقيقي بالنسبة

لي؟ أهي واحدة من الاثنين المتبقيتين؟ هل ستكون السحب الثاني على حظي؟ هل يجدر بي تركها، أم أجرب حظي؟

سألت: "هل أردت دوماً أن تكون كاتبًا؟"

"أمـمـم، دعيني أقول أنني لم أتمكن من التفكير في أي شيء آخر أردت أن أكونه"

"تحقق حلمك إذًا"

"أتساءل عن ذلك، أردت أن أكون كاتبًا عظيمًا" قال وهو يباعد بين يديه بمقدار قدم تقريبًا "اعتقد أن هناك فارق كبير بين الاثنين"

"على أي شخص أن يبدأ من مكان ما، لديك المستقبل أمامك، لن تبلغ الكمال بين ليلة وضحاها"

ثم سألته: "كم تبلغ من العمر؟"

لم يبد أن كونها أكبر منه يزعجها ولو قليلاً، كما لم يضايق ذلك جونبي أيضاً. كان يفضل النساء الناضجات على الفتيات الشابات، في معظم الحالات كان الانفصال عن امرأة تكبره أسهل بكثير.

سألها: "أي نوع من العمل تزاولينه؟"

شكلت شفتاها خطاً مستقيماً، وعلا الجد محيّاها لأول مرة

"أي نوع من العمل تعتقد أنني أزاوله؟"

أدار جونبي النبيذ داخل كأسه مرة واحدة بالضبط.

"أيمكنني الحصول على تلميح؟"

"بلا تلميحات، هل الأمر صعب لهذا الحد؟ المراقبة وإطلاق الأحكام من صميم عملك"

قال : "ليس تماماً، ما يفترض بالكاتب فعله هو أن يراقب ويراقب ويراقب مجدداً، ويرجئ إطلاق الأحكام إلى آخر لحظة ممكنة"

"بالطبع . حسناً، إذاً راقب وراقب وراقب مجددًا . واستخدم مخيلتك، لن يتعارض ذلك مع أخلاقيات مهنتك، أليس كذلك؟"

رفع جونبي عينيه وتفرس في وجه كيري بتركيز وهو يأمل أن يجد فيه إشارة سرية، ونظرا داخل عيني بعضهما البعض مباشرة.

بعد صمت قصير قال:

"حسنًا، هذا ما أتخيله، بناءً على القليل الذي لاحظته: أنت محترفة من نوع ما لا يستطيع أي شخص أن يقوم بعملك، يتطلب مهارة من نوع خاص"

"إصابة مباشرة! لكن حاول تضييق الدائرة قليلاً"

"شيء له علاقة بالموسيقى؟"

"لا"

"تصميم أزياء؟"

"لا"

"التنس؟"

"لا"

هز جونبي رأسه.

"حسنًا . لديكِ سُمرة، وبنية متماسكة، وذراعين قويتين إلى حد ما، ربما تمارسين الكثير من رياضات الهواء الطلق"

وضعت كيري ذراعيها على الطاولة وهي تقلبهما وتتفحصهما

"يبدو أنكَ تقترب من الإجابة"

"لكنني ما زلت غير قادر على منحك الإجابة الصحيحة"

"من المهم الاحتفاظ ببعض الأسرار الصغيرة، لا أريد أن أحرمك من متعتك المهنية - المراقبة والتخيل ... إلا أنني سأعطيك تلميحًا واحدًا، إنه الأمر نفسه بالنسبة لي كما هو معك"

"نفسه كيف؟"

"أعني أن مهنتي هي تمامًا ما أردته دومًا، منذ أن كنت فتاة صغيرة مثلك تمامًا. إلا أن رحلتي للوصول إلى ما أنا عليه لم تكن سهلة"

"عظيم، ذلك أمر هام- يجب أن تمارسي عملك عن حب، يجب ألّا يكون زواج مصلحة"

"عن حب" بدا أن الكلمات كان لها وقع خاص لديها "إنها استعارة رائعة"

"حسنًا، هل تعتقدين أنني قد سمعت باسمكِ من قبل في مكان ما؟"

أجابت وهي تهز رأسها

"على الأرجح لم تسمع به ، لست شهيرة إلى هذا الحد"

"آه، حسنا، على أي شخص أن يبدأ من مكان ما"

"بالضبط"

قالت كيري بابتسامة، ثم بدت عليها الجدية

"أنا مختلفة عنك من ناحية واحدة، يتعين علي أن أبلغ الكمال من البداية. الأخطاء غير مسموح بها، إما الكمال أو لا شيء، ليس ثمة منطقة وسطى أو فرص ثانية"

"افترض أن هذا تلميح آخر"

"على الأرجح"

اقترب منهما نادل يحمل كؤوس شمبانيا، أخذت منه كأسين وناولت إحداها لجونبي

قالت: "نخبك"

قال: "نخب مجالي خبرتنا الخاص بنا"

ولامسا كأسيهما

"بالمناسبة، هل أنت متزوج؟"

هز جونبي رأسه

"وأنا غير متزوجة أيضاً"

أمضت تلك الليلة في غرفة جونبي، احتسيا النبيذ (هدية من المطعم) مارسا الجنس، وراحا في سبات عميق. عندما استيقظ جونبي عند العاشرة في اليوم التالي، كانت قد اختفت، تاركة فراغًا، كذكرى، على الوسادة إلى جانبه، وورقة مكتوب عليها: علي الذهاب إلى العمل، اتصل بي إذا أردت وأضافت رقم هاتفها الجوال.

اتصل بها، وتناولا العشاء في مطعم يوم السبت التالي، احتسيا بعض النبيذ مارسا الجنس، و راحا في سبات عميق. ومجددًا، في الصباح التالي، كانت قد اختفت. كان يوم أحد، لكنها كتبت: "علي الذهاب إلى العمل"

ما يزال جونبي لا يملك فكرة عن العمل الذي تزاوله كيري، لكنه حتمًا يبدأ في الصباح الباكر، وأحيانًا على الأقل، تعمل في أيام الآحاد.

لم يعدم الاثنان ما يتحدثان بشأنه، كانت فطِنة وواسعة المعرفة في عدد من المجالات، كانت تستمتع بالقراءة، لكنها بصفة عامة تفضل الكتب الأخرى على كتب أدب السيرة الذاتية، والتاريخ، وعلم النفس، والعلوم. وتحصلت على كم هائل

من المعلومات، ذات مرة، ذُهل جونبي من معرفتها الدقيقة بالمنازل المركبة من أجزاء مسبقة الصنع.

"منازل مسبقة الصنع؟ لابد أن عملكِ يتعلق بالبناء أو الهندسة المعمارية"

"لا، كل ما في الأمر هو إنني أميل إلى المواضيع ذات الطابع العملي"

مع ذلك، قرأتْ المجموعتين القصصيتين اللتين نشرهما جونبي ووجدت القصص 'رائـعـة'

"لقد استمتعت بقراءتها أكثر مما توقعت. لأكون صادقة معك، فقد كنت قلقة ماذا لو قرأت أعمالك ولم تعجبني؟ ما الذي يمكنني قوله عندئذٍ؟ لكن ليس هناك داع للقلق، استمتعت بها للغاية"

"أنا سعيد لسماع ذلك" قال جونبي وهو يشعر بالارتياح، كان يشعر بالمخاوف نفسها عندما أعطاها الكتابين بطلبها.

"لا أقول هذا لمجاملتك فحسب، لكن لديك شيء مميز، تلك السمة المميزة المطلوب توفرها في الكاتب اللامع، قصصك تفيض بالحيوية، وأسلوبها جميل لكن ما أعجبني بصفة خاصة هو أن قصصك في غاية التوازن، وهذا أهم شيء بالنسبة لي، سواء في الموسيقى، أو الأدب، أو في الرسم، كلما أصادف عملاً أو أداءً يعوزه التوازن، يُشعرني بالغثيان كغثيان دوار البحر، ولهذا على الأرجح لا أذهب إلى الحفلات الموسيقية وأقرأ الأدب بالكاد."

"لأنك لا تريدين التعرض لأشياء غير متوازنة؟"

"بالضبط"

"يبدو ذلك عصيًا على الفهم بالنسبة لي"

"أنا من مواليد برج الميزان، كل ما في الأمر هو أنني لا أطيق الأشياء التي تفتقر إلى التوازن، لا ليس إلى حد القول بأنني لا أطيقها، إنه كما لو..."

أطبقت شفتيها بحثاً عن الكلمات المناسبة، لكنها لم تتمكن من العثور عليها فأطلقت بضع تنهيدات حائرة.

"آه. حسنًا، إنس الأمر، ما أريد قوله هو أنني اعتقد أنك سوف تكتب روايات ذات يوم، وعندها سوف تصبح كاتبًا أكثر أهمية. قد يستغرق الأمر وقتًا، لكن هذا ما أشعر به"

"لا، أنا كاتب قصة قصيرة بالميلاد " قال جونبي ببرود "لا أصلح لكتابة الروايات"

ولم يقل المزيد حول الموضوع. تمدد بهدوء وهو يستمع إلى همهمة مكيف الهواء. في الواقع، فهو قد حاول كتابة الروايات عدة مرات، لكنه يتعثر ويعجز عن التقدم في منتصف الطريق، فهو ببساطة لم يتمكن من المحافظة على التركيز الذي تتطلبه كتابة رواية خلال فترة طويلة من الوقت، كان يشرع في الكتابة ولديه إيمان راسخ بأنه سوف ينجز عملاً عظيمًا، تتدفق القصة من أصابعه من تلقاء نفسها، لكنه كلما تقدم فيها، تبدأ عبقريته وطاقته تخبوان، تدريجيًا في البداية حتى تتلاشيان تمامًا كمحرك أصيب بعطب.

كان كلاهما في الفراش، والجو خريفي، يستلقيان عاريين بعد جولة طويلة ودافئة من ممارسة الحب، تستند كيري بكتفها إلى جونبي الذي يحيطها بذراعيه وينتصب كأسان من النبيذ الأبيض على المنضدة المجاورة.

"جونبي؟"

"نعم"

"إنك مغرم بامرأة أخرى، أليس كذلك؟ امرأة لا تستطيع نسيانها؟"

أقر جونبي: "صحيح، أيمكنك معرفة ذلك؟"

"لدى النساء حساسية عالية تجاه مثل هذه الأشياء، ألا تستطيع رؤيتها؟"

"هناك بعض المشاكل"

"وليس هناك إمكانية لحل هذه المشاكل؟"

"إطلاقاً" قال جونبي مع هزة سريعة من رأسه.

ارتشفت كيري بعض النبيذ، وقالت خلال أنفاسها: "ليس لدي شخص كهذا في حياتي. أنت تروقني كثيرًا يا جونبي، إنك تحرك شيئًا بداخلي، عندما نكون معًا هكذا، أشعر بسكينة عميقة وسعادة غامرة، لكن ذلك لا يعني أنني أريد أن ارتبط معك في علاقة جادة، كيف تشعر حيال هذا؟ بالارتياح؟"

مرر جونبي أصابعه خلال شعرها، بدلاً عن الإجابة عن سؤالها، طرح عليها سؤالاً بدوره.

"ولمَ ذلك؟"

"لمَ لا أريد أن أكون معك؟"

"نعم"

"أيزعجك ذلك؟"

"قليلاً"

"لا يمكنني أن أرتبط بعلاقة جادة مع أي شخص، ليس أنت فحسب، أي شخص. أريد أن أركز جل اهتمامي على ما أقوم به حالياً، إذا ارتبطت بأحدهم- إرتباطًا عاطفياً عميقاً- قد لا أتمكن من القيام بذلك"

فكر جونبي لبرهة

"تعنين أنك لا تريدين أن يتشتت تركيزك؟"

"صحيح"

"وإذا تشتت تركيزك، قد تفقدين توازنك، وقد يكون ذلك عائقًا أمام مسيرتك المهنية"

أومأتْ "بالضبط"

"ومع ذلك، لن تخبريني عنها"

"خمِّن"

"أنت لصة"

أجابت كيري ضاحكة "لا، يا له من تخمين مثير! لكن اللص لا يغادر لعمله في الصباح الباكر"

" قاتلة مأجورة"

"لا، لمَ هذه التخمينات الفظيعة؟"

"إذاً ما تفعلينه قانوني تمامًا؟"

"تمامًا"

"عميلة متخفية؟"

"لا، حسنًا، لنكتفِ بهذا القدر، أفضّل الحديث عن عملك، أخبرني عما تكتبه أتكتب شيئًا حاليًا؟"

"نعم، قصة قصيرة"

"أي نوع من القصص؟"

"لم انته منها بعد"

"إذا أخبرني ما حدث فيها حتى الآن"

صمت جونبي، كان يتبع سياسة عدم الحديث لأي أحد عن أعماله أثناء كتابتها. إذا عبّر عن قصته في شكل كلمات وغادرت هذه الكلمات شفتيه، كان يخشى أن يتبخر شيئًا هامًا منها، كالندى عند الصباح، وأن تتحول ظلال المعاني الدقيقة إلى سطح ضحل، عندها لا تعود الأسرار أسرارًا. لكن هنا في الفراش وأصابعه تتخلل شعر كيري القصير، شعر جونبي بأنه لا ضير في إخبارها، فهو على أي حال متوقف عن الكتابة حاليًا لأنه لم يستطع إيجاد خاتمة للقصة، ظل يراوح مكانه لبضعة أيام.

بدأ: "إنها بضمير الغائب. الشخصية الرئيسة امرأة، في أوائل الثلاثينات من عمرها، طبيبة متدربة ماهرة تعمل في مستشفى كبير، غير مرتبطة لكنها تقيم علاقة مع جراح يعمل بنفس المستشفى، في أواخر الأربعينات من عمره ولديه زوجة وأطفال."

لبرهة حاولت كيري أن تتخيل البطلة

"أهي جذابة؟"

"اعتقد ذلك، جذابة إلى حد كبير، لكنها ليست في مثل جاذبيتك"

قبّلته على عنقه وقالت:

"هذه هي الإجابة الصحيحة"

"على أي حال، تأخذ إجازة وتذهب في رحلة لوحدها. إنه فصل الخريف، تقيم في منتجع صغير للينابيع الحارة في الجبال، وتسير في نزهة بمحاذاة مجرى مائي. تحب مشاهدة الطيور، وتستمتع بمشاهدة طيور الرّفراف بصفة خاصة. تنحدر إلى طرف قاع المجرى المائي الجاف وتلاحظ حجرًا غريبًا، حجر أسود مشوب

بحُمرة، أملس ولديه شكل مألوف، تدرك على الفور أنه على شكل كلية فهي طبيبة في نهاية المطاف، يشبه الكلية تمامًا، حجمه وسمكه"

"لذا تلتقطه وتأخذه معها إلى المنزل"

"صحيح، تأخذه إلى مكتبها في المستشفى وتستخدمه كثقل لتثبيت الأوراق، إنه بالوزن والحجم المناسب لذلك"

"وبالشكل المثالي لمستشفى"

"بالضبط، لكن بعد بضعة أيام تلاحظ شيئًا غريبًا"

انتظرته كيري بصمت ليكمل بقية القصة، توقف جونبي وكأنه يتعمّد تشويق مستمعته. لكن في الواقع، لم يكن ذلك متعمدًا إطلاقًا، فهو لم يكتب بقية القصة بعد هذه هي النقطة التي توقف فيها، واقفًا عند مفترق الطرق هذا، قام بمسح الظروف المحيطة به وأعمل عقله، ثم فكر في الكيفية التي يجب أن تسير بها القصة.

"في كل صباح، تجد الحجر في مكان مختلف، إنها امرأة في غاية التنظيم والمنهجية، لذلك دائمًا ما تتركه في المكان نفسه تمامًا على مكتبها عندما تغادر لمنزلها في المساء. لكنها تأتي في الصباح لتجده على مقعد كرسيها الدوّار، أو بجوار المزهرية، أو على الأرضية. أول ما خطر لها هو أن ذاكرتها تتلاعب بها. باب مكتبها مغلق ولا يمكن لأي أحد الدخول لدى الحارس الليلي نسخة من المفتاح بطبيعة الحال، لكنه ظل يعمل في المستشفى لأعوام وما كان ليأخذ على عاتقه الدخول إلى مكتب أي أحد. إلى جانب ذلك، ما المغزى من اقتحام غرفتها كل ليلة فقط لتغيير موضع حجر تستخدمه كثقل لتثبيت الأوراق؟ لم يتغير أي شيء آخر في المكتب لم تفقد شيئًا، ولم يجرِ العبث بأي شيء. موضع الحجر هو الوحيد الذي يتغير. استغلق عليها الأمر تمامًا، ماذا يحدث برأيك؟ لماذا يتحرك الحجر في الليل؟"

قالت كيري ببساطة: "لدى حجر شكل الكلية أسبابه الخاصة لفعل ما يفعله"

"وما الأسباب التي قد تكون لدى حجر على شكل كلية؟"

"إنه يريد أن يزعزعها، شيئًا فشيئًا، خلال فترة طويلة من الوقت"

"حسنًا، إذًا، لماذا يريد أن يزعزعها؟"

"لا أعرف" قالت وأردفت ضاحكة: "ربما يريد زلزلة عالمها فحسب حسنًا أنت الكاتب، ألست من يجب أن يقرر؟"

قطب جونبي وجهه، وشعر بنبضات طفيفة خلف صدغيه من شدة التركيز ربما يكون قد أسرف في شرب النبيذ.

قال: "أفكاري غير متناسقة، لا استطيع تحريك الحبكة ما لم أكن جالسًا خلف مكتبي وأنا أحرك أصابعي، و أركّب الجمل. بالحديث عنها هكذا بدأت أشعر كما لو أن القصة ستكمل نفسها بنفسها"

قالت كيري: "سوف انتظر " ومدت يدها نحو الكأس وأخذت رشفة من النبيذ "لكن القصة تصبح مشوقة أكثر فأكثر، أريد أن أعرف ما يحدث لحجر شكل الكلية"

التفتت ناحيته وضغطت بنهديها على جانبه ، ثم قالت بصوت خافت كأنها تفشي سرًا:

"أتعرف يا جونبي، كل شيء في العالم لديه أسبابه الخاصة خلف كل ما يفعله"

بدأ جونبي يشعر بالنعاس ولم يستطع الإجابة، في هواء الليل، فقدت عباراتها شكلها كبنيات نحوية وذابت في عبق النبيذ الخفيف قبل أن تصل إلى تلافيف وعيه العميقة.

"على سبيل المثال، لدى الرياح أسبابها، إنك لا تلاحظها في غمرة إنهماكك في تفاصيل حياتك. وبعدها، في مرحلة ما، شيء ما يجعلك تلاحظ، الرياح تكتنفك وفي ذهنها غرض معين وتزعزعك، إنها تعرف كل ما بداخلك. ليست الرياح فحسب كل شيء، حتى الحجر، يعرفك وكل ما يسعك فعله هو مسايرة هذه الأشياء. وبتقبلك لها تستمر في حياتك وتصبح أكثر عمقًا"

في الأيام الخمسة التالية، لم يغادر جونبي منزله كثيرًا، ظل قابعًا خلف مكتبه يكتب بقية قصة حجر شكل الكلية، كما تنبأت كيري، يستمر الحجر في زعزعة الطبيبة بهدوء، شيئًا فشيئًا، لكن بعزم وتصميم. أثناء انهماكها في تناكح مستعجل مع عشيقها في غرفة فندق مجهول ذات مساء، تتسلل أصابعها خلسة خلف ظهره وتتحسس كليته، ثمة ما يخبرها بأن حجرها يتربص هنا بالداخل، الكلية مُخبر سري قامت بدسّه بنفسها داخل جسد عشيقها، تتلوى كحشرة تحت أصابعها وهي تبعث لها بالرسائل، تُحاور الكلية وتتبادل معها المعلومات، تستشعر لزوجتها في راحة يدها.

تعتاد الطبيبة تدريجيًا على وجود الحجر الذي يغير موضعه كل ليلة وتصل حد التسليم به كأمر طبيعي. لم تعد تندهش عندما تجده قد غير مكانه، عندما تصل إلى المستشفى كل صباح، تبحث عنه، تلتقطه، وتعيده إلى مكتبها. أصبح هذا جزءاً من روتينها. لا يتزحزح الحجر من مكانه قيد أنملة أثناء وجودها في المكتب، يستلقي في مكانه بهدوء، كقطة تغفو قليلاً تحت الشمس، يستيقظ ويبدأ في التحرك فقط بعد مغادرتها المكتب وإغلاقها الباب.

كلما وجدت فراغًا، تأخذ الحجر وتداعب سطح الحجر الأملس الداكن. بعد مرور بعض الوقت، أصبحت تجد صعوبة، بشكل متزايد، في الابتعاد عن الحجر، كما لو أنها تحت تأثير منوم مغناطيسي، تفقد اهتمامها بكل شيء تدريجيًا، لا تعود

قادرة على قراءة الكتب، وتتوقف عن ارتياد الصالة الرياضية، يبعث الحديث مع زملائها الملل بداخلها، تصبح غير مبالية بهندامها، تفقد شهيتها، حتى معانقة عشيقها تصبح مصدر إزعاج واشمئزاز. عندما لا يكون أحد بجوارها تتحدث إلى الحجر بصوت خافت، بالطريقة التي يحادث بها الذين يشعرون بالوحدة كلابهم وقططهم. وتستمع إلى ما يقوله الحجر دون كلمات، يستحوذ حجر شكل الكلية على جزء كبير من حياتها الآن.

بطبيعة الحال، لم يكن الحجر مجرد جسم وصل إليها من تلقاء نفسه، يصير جونبي مدركاً لهذا مع تقدم قصته. المغزى الجوهري هو شيء بداخلها، ثمة شيء بداخلها يفعّل حجر شكل الكلية، ويحثها على فعل شيء ما، ويظل يرسل الإشارات باستمرار من أجل ذلك الغرض- إشارات تتخذ شكل تحركات الحجر الليلية.

يفكر جونبي بكيري أثناء كتابته ويستشعر بأنها (أو شيء بداخلها) تقوم بتحريك القصة، فهو لم يطف بذهنه قط أن يكتب شيئًا بعيدًا عن الواقع كهذا، ما تخيله بغموض قبل شروعه في الكتابة، كانت قصة رائقة ذات بعد نفسي. وفي تلك القصة الحجارة لا تأخذ على عاتقها التحرك هنا وهناك.

تخيل جونبي أن الطبيبة سوف تقطع علاقتها بالجراح المتزوج، وربما تنقلب مشاعرها نحوه للكراهية، على الأرجح هذا ما كانت تسعى خلفه- دون وعي منها- منذ البداية.

ما أن اتضحت له معالم بقية القصة، أصبح أمر كتابتها سهلاً نسبيًا جلس أمام كمبيوتره وهو يستمع إلى أغاني ماهلر بصوت منخفض، وكتب نهاية القصة بأقصى سرعة لديه.

تتخذ الطبيبة قرارها بهجر عشيقها. تقول له: "لا استطيع رؤيتك بعد الآن". يسألها: "ألا يمكننا الحديث حول الأمر على الأقل؟" تقول له بحزم: "لا، محال".

في اليوم التالي تذهب إلى ميناء طوكيو وتقف على الرصيف، وتقذف بحجر شكل الكلية في البحر، يغوص الحجر إلى القاع ويشق طريقه إلى مركز الأرض، تعقد العزم على بداية صفحة جديدة من حياتها، تشعر بشيء من الخفة بعد التخلص من الحجر.

إلا أنها عندما تصل إلى المستشفى في اليوم التالي، تجد الحجر قابعًا على مكتبها، في انتظارها، مستلقيًا حيث يجب أن يكون تمامًا، داكنًا وعلى شكل كلية كعهدها به دومًا.

بمجرد انتهائه من كتابة القصة، اتصل جونبي بكيري. إنها على الأرجح سترغب في قراءة العمل النهائي، والتي ألهمته - بطريقة ما - لكتابتها، إلا أنه لم ينجح في الوصول لهاتفها، قال له الصوت الآلي المسجل: "هذه المكالمة لا يمكن إجراؤها، الرجاء التحقق من الرقم والمحاولة مجددًا" حاول جونبي المرة تلو الأخرى، لكن بلا طائل. اعتقد أن هاتفها يعاني بعض المشاكل التقنية.

لم يغادر جونبي المنزل كثيرًا، في انتظار مكالمة من كيري، لكنها لم تتصل انقضى شهر، وتلاه آخر، وأعقبهما ثالث. حل فصل الشتاء وأقبلت السنة الجديدة. نُشرت قصته في عدد فبراير في مجلة أدبية نشرت صحيفة إعلانًا للمجلة عليه اسم جونبي والعنوان (الحجر ذو شكل الكلية الذي يتحرك يومياً) قد ترى كيري العنوان، وتشتري المجلة، وتقرأ القصة، وتتصل به وتشاركه انطباعاتها. أو هذا ما كان يأمله، لكنه لم يتلق سوى موجات أخرى من الصمت.

كانت الآلام المِمِضّة التي اجتاحت جونبي عندما تلاشت كيري من حياته أشد مما يمكنه أن يتصوره، كثيرًا ما يخطر بباله خلال اليوم: فقط لو كانت معي هنا! كم افتقدَ ابتسامتها، افتقدَ الكلمات التي تشكلها شفتاها افتقدَ ملمس بشرتها وهما

يتعانقان. لم يجد أي عزاء في الاستماع لموسيقاه المفضلة، ولا في وصول كتب جديدة للكتاب الذين يحبهم. شعر بأن كل ما حوله ناءٍ ومنفصل عنه، فكر مع نفسه: قد تكون كيري المرأة رقم 2.

لقاؤه التالي بكيري كان في أحد أيام نهايات الربيع، على الرغم من أنه لا يمكنك أن تسميه لقاءً.

كان يستقل تاكسياً عالقاً في الزحام، يستمع السائق إلى إذاعةMF انبعث صوت كيري من المذياع، في البداية لم يدرك جونبي أنه يستمع إلى كيري، ظن ببساطة أن الصوت مشابه لصوتها، لكن شيئًا فشيئًا، اتضح لديه مدى التطابق مع صوت كيري ، طريقتها في الحديث : التنغيم السلس نفسه، والأسلوب الهادئ عينه وطريقتها المميزة في التوقف بين الأفكار.

طلب جونبي من السائق أن يرفع الصوت.

قال السائق: "بكل تأكيد"

سألت المذيعة التي تجري مقابلة مع كيري: "إذا أنت تحبين الأماكن العالية منذ أن كنت طفلة صغيرة؟"

قالت كيري: (أو امرأة لها نفس الصوت) "نعم، حسبما أذكر، لطالما أحببت أن أكون في مكان عال، كلما ارتفعت لأعلى كلما ازداد شعوري بالسلام الداخلي كنت ألح دومًا على والديّ ليأخذاني إلى المباني العالية. كنت مخلوقة صغيرة غريبة الأطوار" قالت ضاحكة.

"وافترض أنك بدأت مجال عملك الحالي انطلاقًا من هذا الشغف"

"في البداية عملت كمحللة في شركة أمنية، لكنني أدركت على الفور أن ذلك لا يناسبني، وتركت الشركة بعد ثلاث سنوات. وأول ما فعلته هو أنني حصلت على

عمل يتضمن تنظيف نوافذ المباني العالية، ما أردته حقًا هو أن أنظف المداخن وأبراج الكنائس والكاتدرائيات العالية، لكن هذا المجال يسيطر عليه الرجال بإحكام ولا يسمحون للنساء بدخوله بسهولة"

"من محللة بشركة أمنية إلى تنظيف النوافذ، إنه تغيير كبير!"

"لأكون صريحة معك، تنظيف النوافذ كان عملاً أقل إجهادًا وإثارة للأعصاب بالنسبة لي، إذا كان ثمة شيء سيتهاوى، فهو أنا فحسب وليست الأسهم" قالت ضاحكة مجددًا.

"حسناً، بـ*'منظفة نوافذ'* تعنين أحد أولئك الذين يتم إنزالهم بمنصة على جانب المبنى؟"

"صحيح. بالطبع، ويعطونك حبل نجاة أيضًا، إلا أن هناك بعض المواضع التي لا يمكنك بلوغها دون أن تنزعي حبل النجاة، ولا يزعجني ذلك إطلاقًا، مهما كان ارتفاع المبنى، لا أشعر الخوف وهذا ما جعلني عاملة قيّمة"

"افترض أنك تحبين تسلق الجبال"

"ليس لدي أي اهتمام بالجبال تقريبًا، حاولت تسلقها بضع مرات، لكنها لا تحرك شيئًا بداخلي، أحب تسلق مباني من صنع البشر، التي تنتصب باستقامة من الأرض ولا تسأليني لماذا"

"إذاً، تديرين شركة تنظيف نوافذ متخصصة في المباني العالية بمنطقة طوكيو"

"صحيح، ادخرت بعض المال وأسست شركتي الصغيرة الخاصة بي قبل حوالي ست سنوات. وبالطبع اخرج مع طاقم عمالي، لكنني المالكة الآن، ولست مضطرة لتلقي الأوامر من أي أحد، وبمقدوري أن أضع القواعد الخاصة بي"

"تعنين أنه يمكنك نزع حبل النجاة متى ما أردت؟"

"نعم، باختصار" قالت بضحكة أخرى

"إنك مهووسة بالأماكن العالية بحق، أليس كذلك؟"

"بالفعل، أشعر بأنني ولدت لأقوم بهذا العمل، أن أكون بالأعلى، لا يسعني تخيل نفسي أمارس أي عمل آخر. يجب أن تمارسي عملك عن حب، يجب ألا يكون زواج مصلحة"

قالت المذيعة : "الآن سنستمع لأغنية *'أب أون ذا رووف'* لجيمس تايلور . سنتحدث أكثر عن السير على الحبل المشدود بعد هذا الفاصل."

أثناء الأغنية، إتكأ جونبي على المقعد الأمامي وسأل السائق:

"ما الذي تفعله هذه المرأة؟"

"إنها تشد الحبال بين أسطح المباني العالية وتسير عليها وهي تحمل عصا طويلة لتحافظ على توازنها، إنها استعراضية من نوع ما، اعتقد أنها تستمد متعة خاصة من ذلك، مجرد الركوب في مصعد زجاجي يشعرني بالخوف"

"أهذه هي مهنتها؟"

سأل جونبي، أدرك أن صوته أصبح جافًا ولم يعد له وزن، بدا له وكأنه صوت شخص آخر.

"نعم، أعتقد أنها تحصل على بعض الراعين وتقيم عروضًا، أقامت عرضًا للتو على كاتدرائية شهيرة بألمانيا، تقول أنها تريد أن تؤدي على مباني أعلى لكن لم يُسمح لها، لأن شبكة الأمان ستكون بلا فائدة مع الارتفاعات العالية جدًا. بالطبع لا يمكنها كسب عيشها بهذه الطريقة وقد سمعتَها تقول أن لديها شركة لتنظيف النوافذ. يا لها من فتاة غريبة"

قالت كيري للمذيعة:

"أروع ما في الأمر، عندما تكونين بالأعلى، هو أنك تتغيرين ككائن بشري. يجب أن تتغيري وإلا فلن تتمكني من النجاة. عندما أصعد إلى مكان عال، اشعر بوجودي ووجود الريح فقط، ولا شيء آخر، تكتنفني الرياح وتهزني، إنها تفهم من أنا، وفي الوقت نفسه، أفهمها، نتقبل بعضنا البعض ونقرر أن نذهب لنعيش معًا، تلك هي اللحظة التي أحبها أكثر من أي شيء. لا، لا اشعر بالخوف، بمجرد أن أضع قدمي في ذلك المكان العالي وأدخل في حالة من التركيز التام، تتلاشى كل المخاوف"

كانت تتحدث بثقة وهدوء، لم يكن جونبي متأكدًا إذا ما كانت المذيعة قد فهمت ما ترمي إليه. عندما انتهت المقابلة، أوقف جونبي التاكسي وترجل، ليكمل طريقه إلى وجهته سيرًا. بين الفينة والأخرى، كان يشرئب بعنقه ويتطلع إلى المباني العالية وإلى السحب العابرة، أدرك أنه ليس بمقدور أي أحد أن يحول بينها وبين الريح. وشعر بفيض عنيف من الغيرة يغمره، لكن مم يغار.. الريح؟ مَن مِن الممكن أن يغار من الريح؟

ظل جونبي في انتظار مكالمة من كيري لبضعة أشهر أخرى، كان يرغب في رؤيتها والتحدث معها حول العديد من الأشياء، بما فيها حجر شكل الكلية، لكن المكالمة المرجوة لم تأتِ ، كما لم يتمكن من الاتصال بها. ثم يئس تمامًا عندما حل فصل الصيف. من الواضح أنها ليست لديها النية في رؤيته مجددًا وبذلك انتهت علاقتهما بهدوء، ودون مشاكل أو شجارات عنيفة، بنفس الطريقة التي أنهى بها علاقاته بعدة نساء أخريات. في مرحلة ما، تتوقف محاولات الاتصال، ويصل كل شيء إلى نهايته الطبيعية بهدوء.

هل يجب أن أضيفها إلى العد التنازلي؟ هل كانت من النساء الثلاث اللاتي يحملن معنى حقيقي بالنسبة لي؟

إكترب جونبي بسبب هذا السؤال لبعض الوقت دون أن يصل إلى قرار، قال لنفسه، سأنتظر لستة أشهر أخرى ثم أقرر.

خلال الستة أشهر تلك، انغمس في الكتابة بتركيز شديد وألّف عدداً كبيراً من القصص القصيرة. أثناء جلوسه خلف مكتبه يعمل على صقل قصة، كان يفكر مع نفسه: على الأرجح أنها الآن في مكان عال مع الريح. وهأنذا، لوحدي تماماً، أقبع خلف مكتبي واكتب القصص، بينما هي هناك بالأعلى لوحدها تمامًا، دون حبل نجاة هي والريح فحسب.

كثيرًا ما كان جونبي يستعيد كلماتها ويدرك أنه يكنّ لها شيئًا خاصًا شيء لم يشعر به مع امرأة أخرى قط، مشاعر عميقة، ذات ملامح محددة ووزن حقيقي. كان لا يزال غير متأكدًا من الاسم الذي يجب أن يطلقه على هذه المشاعر، على الأقل كانت مشاعر لا يمكن استبدالها بشيء آخر. حتى إذا لم يرَ كيري مجدداً، ستلازمه هذه المشاعر للأبد. في مكان ما في جسده- ربما نخاع عظامه- سيظل يستشعر غيابها.

بحلول نهاية العام، اتخذ جونبي قراره، سوف يعدها المرأة رقم 2 كانت إحدى النساء اللاتي يحملن معنىً حقيقياً بالنسبة له، المحاولة الثانية تبقت واحدة فقط.

لكنه لم يعد خائفًا، الأرقام لا تهم كثيرًا- قال مخاطباً نفسه- والعد التنازلي لا معنى له، الآن صار يعرف، ما يهم هو أن تقرر بقلبك أن تتقبل أحدهم بلا شروط. عندما تفعل ذلك، عادة تكون المرة الأولى و الأخيرة.

ذات صباح، تلاحظ الطبيبة أن الحجر الداكن ذو شكل الكلية قد اختفى من مكتبها، و أدركت أنه لن يعود ثانية.

سائق التاكسي مصاص الدماء

Vampire Cabby

من وقت لآخر، يبدو أن الأشياء السيئة تحدث، واحدة تلو الأخرى. هذا مجرد كلام مبتذل، لكن عندما تقع سلسلة من الحوادث السيئة، فإنه يتعذر ابتلاع هذا الكلام. تفوت لقاء الفتاة التي كان من المفترض أن تلتقي بها، تفقد زرًا من أزرار معطفك، تصادف شخصًا على متن القطار لم تكن ترغب في رؤيته إطلاقاً، تؤلمك أسنانك، تمطر بغزارة، وعندما تستقل تاكسيًا، يكون ثمة حادث يصيب حركة المرور بالشلل التام، وما إلى ذلك من الحوادث. أرني شخصًا واحدًا يقول "أحياناً، الأشياء السيئة تحدث" عندما تحدث مثل هذه الأشياء وسأضمن لك أنني سوف اضربه على رأسه.

أراهن أنك ذلك الشخص.

رغم كل شيء، هناك سبب وراء الحكم على تلك العبارة بالابتذال.

ولذلك يصعب عليّ الاتفاق مع الآخرين ومجاراتهم. أفكر أحيانًا أنه لو أمكنني أن أصبح ممسحة أرجل وأقضي حياتي بكاملها قابعًا على الأرض كم سيكون ذلك رائعًا ، لكنني أفترض أنه حتى في عالم ممسحات الأرجل لديهم ويلاتهم وكليشيهاتهم الخاصة بهم. آه حسنًا، جميعنًا متشابهين إذًا.

على أي حال، كنت هناك، عالقًا في تاكسي على جسر مكتظ، أمطار الخريف تدمدم على السقف، صوت تكتكة العداد المتصاعد يثقب أذني كصوت كبندقية هواء.

يا للهول.

والأسوأ من ذلك، كنت قد أمضيت ثلاثة أيام دون تدخين، حاولت أن اشغل ذهني بأفكار سعيدة، لكن لم يخطر على بالي شيئًا واحدًا. وبما أنني ليس لدي ما افعله شردت بذهني أفكر بالترتيب الذي سوف أساعد به الفتاة في نزع ملابسها أولاً نظارتها، ثم ساعة معصمها، و سوارها، ثم...

"يا سيدي" قال سائق التاكسي فجأة، وكنت قد وصلت أخيرًا إلى الزر الأول من بلوزة الفتاة "هل تؤمن بمصاصي الدماء؟"

"مصاصي الدماء؟"

دققت مصعوقًا في وجه السائق في المرآة، فكان يحدق داخل عيني مباشرة.

"نعم، هل تعتقد أنهم موجودون؟"

"أنت لا تعني مصاصي الدماء مجازًا، أو الخفافيش مصاصة الدماء أو مصاصي الدماء في قصص الخيال العلمي، أتعني مصاصي الدماء الحقيقيين؟"

"بالتأكيد" أجاب السائق والسيارة تتحرك للأمام مسافة هائلة قدرتها بخمسين سنتيمترًا.

قلت: "لا أعرف"

"إنها ليست مسألة معرفة – أتؤمن بمصاصي الدماء؟ أم لا تؤمن؟"

"لا أؤمن"

أخذت سيجارة من جيبي ووضعتها في فمي، وطفقت أحركها بين شفتي دون إشعالها.

قال: "ماذا عن الأشباح؟ هل تؤمن بها؟"

"لدي حدس بأنها قد تكون موجودة"

"لا أكترث *لحدسك*، أريد إجابة بنعم أو بلا فحسب"

ليس ثمة مفر الآن

"نعم، أؤمن بالأشباح"

"تؤمن بالأشباح، امـمـم"

"نعم"

"لكنك لا تؤمن بمصاصي الدماء"

"لا"

"لكن ما الفرق بين مصاصي الدماء والأشباح؟"

"أفترض لأن الأشباح هي الحالة المضادة للجسد"

لدي ميل للتلفظ بهكذا أشياء دون أن أكلف نفسي عناء التفكير بها.

وأردفت: "مصاصو الدماء، من ناحية أخرى، تجسيد له"

"إذاً ما تقوله هو أنك تتقبل الحالة المضادة، لكن ليس التجسيد"

"لأنك إذا بدأت تؤمن ببعض الأشياء الجنونية، سرعان ما ستجد نفسك عاجزًا عن التوقف"

"أنت ذكي جدًا، أليس كذلك يا سيدي؟"

"هاهاها، ذلك فقط لأنني أمضيت سبعة أعوام في الجامعة"

أثناء مشاهدة السائق لصفوف السيارات تتعرج أمامه، أمسكت بسيجارتي الرفيعة بين شفتي وظللت اضغط قداحتي، امتلأت السيارة برائحة الشرارة.

"لكن فلنقل أنه يوجد مصاصو دماء، ماذا عندها؟"

"عندها، أظنني كنت مخطئاً"

"وهذا كل ما في الأمر؟"

"هل هذا أمر سيء؟"

"للغاية، ينبغي أن يكون إيمانك بمعتقداتك أكثر رسوخًا، إذا كنت تؤمن بأن هناك جبل، إذًا هناك جبل. وإن لم تكن تؤمن بأن هناك جبل، إذًا ليس هناك جبل"

بدا كلامه كأغنية قديمة لفرقة *دونوفان* .

"إذًا هذه هي المشكلة؟"

"هذه هي المشكلة"

جذبت نفسًا عميقًا ممسكًا بالسيجارة غير المشتعلة بين شفتي.

"حسنًا، ماذا عنك؟ هل تؤمن بمصاصي الدماء؟"

"أؤمن بها"

"لماذا؟"

"لماذا، لأنني أؤمن بها"

"أيمكنك تقديم أي دليل؟"

"اعتقادي ليس له علاقة بالأدلة"

"كما تشاء"

استسلمت وعدت إلى أزرار بلوزة فتاتي، واحد، اثنان، ثلاثة...

"لكن يمكنني أن اثبت ذلك" قال سائق التاكسي

"حقاً؟"

"بالفعل"

"كيف؟"

"إنني مصاص دماء"

خيم صمت ثقيل لبعض الوقت، طوال وقت حديثنا، تحركت السيارة بمقدار خمسة أمتار، لا يزال المطر ينهمر على السقف وتجاوز العداد 1500 ين.

سألته: "المعذرة، أيمكنني أن استعير قداحة؟"

"بالطبع"

أشعلت سيجارتي مستخدمًا القداحة البيضاء ماركة بيك التي ناولني إياها سائق التاكسي، وأرسلت أول جرعة من النيوكتين إلى رئتي منذ ثلاثة أيام.

قال السائق: "حركة المرور سيئة للغاية، أليس كذلك؟"

"بالفعل، لكن بشأن مصاصي الدماء..."

"نعم"

"هل أنت مصاص دماء حقًا؟"

"صحيح، أعرف أنك تعتقد أنني اكذب"

"حسنًا... منذ متى وأنت مصاص دماء؟"

"اعتقد قرابة تسع سنوات، لأكون دقيقاً، منذ عام أولمبياد ميونخ"

"هل تمانع إذا سألتك سؤالاً؟"

"بالطبع لا، تفضل"

"لماذا تعمل كسائق تاكسي؟"

"لا أريد أن يخطر ببال الناس ***"مصاص دماء"*** عندما تقع أعينهم علي ليس من الجيد أن تتنقل هنا وهناك متسربلاً بعباءة غريبة، وتركب عربة تجرها جياد وتعيش في قلعة وما إلى ذلك. فأنا أدفع ما علي من ضرائب كما يجب، حتى أنني أملك رخصة، أذهب إلى النوادي وألعب لعبة الكرة والدبابيس، هل تجد غرابة في ذلك؟"

"لا، ليس تمامًا، لكنني لست متيقنًا من أنني أفهم ما ترمي إليه"

"أنت لا تصدقني، أليس كذلك يا سيدي؟"

"هـه؟"

"قلت لك إنني مصاص دماء، لكنك لا تصدقني"

قلت بسرعة: "أصدقك بكل تأكيد، إذا كنت تعتقد أن هناك جبل، إذًاً هناك جبل"

"إذاً نحن على وفاق"

"إذاً، هل تشرب الدم أحيانًا؟"

"حسنًا.. أنا مصاص دماء"

"أفترض أن بعض الدماء مذاقها أفضل من دماء أخرى"

"نعم، دماء شخص مثلك مذاقها مريع، أنت تدخن بشراهة"

"كنت أحاول الإقلاع منذ فترة، لكنني لم استطع"

"دماء الفتيات هي الأفضل، إنها أكثر عذوبة لسبب ما"

"يمكنني تفهم ذلك، بالمناسبة، إن كنت لتختار ممثلة، من برأيك سوف يكون مذاقها جيداً؟"

"كاياكو كيشيموتو، إنها تبدو رائعة المذاق، كيمي شينغويجي ستكون جيدة أيضًا. لكن ليس كاوري مواموي، إنها ليست من نوعي المفضل وصلتك الفكرة"

"لابد أنه أمر رائع، أن تتمكن من شرب دمائهن"

"بالفعل"

بعد ربع ساعة، ذهب كل منا إلى حال سبيله. فتحت باب غرفتي أضأت المصابيح، وأخذت جعة من الثلاجة وتجرعتها، ثم اتصلت بالفتاة التي لم أتمكن من

رؤيتها سابقًا. أثناء استماعي لقصتها، اتضح لي أن ثمة تفسير وجيه لعدم تمكننا من اللقاء، هذه الأشياء تحدث أحيانًا فحسب.

"اسمعي، بالمناسبة، على الأرجح من الأفضل لك ألا تركبي أي سيارة تاكسي سوداء تحمل لوحات نيريما، لبعض الوقت."

"لماذا؟"

"لأن سائقها مصاص دماء"

"آه حقًا؟"

"حقًا"

"وأنت قلق علي؟"

"بالطبع"

"سوداء تحمل لوحات نيريما؟"

"نعم"

"شكرًا"

"على الرحب"

"طابت ليلتك"

"طابت ليلتك."

شهرزاد

كانت تروي لهابارا قصصًا غرائبية مشوقة بعد كل مرة يمارسان فيها الجنس، كالملكة شهرزاد في *'ألف ليلة وليلة'* . إلا أن هابارا، بطبيعة الحال، لم يكن يخطط لقطع رأسها في الصباح التالي (هي لم تمكث معه إلى الصباح قط، على أي حال) كانت تروي له القصص لأنها رغبت في ذلك، ولأنها - كما خمّنَ - كانت تستمتع بالاستكانة في الفراش والتحدث إلى رجل خلال لحظات الخدر الحميمة التي تعقب ممارسة الحب. وأيضًا ،على الأرجح، لأنها رغبت في أن تسرّي عن هابارا الذي كان مضطرًا لأن يمضي كل يوم حبيس البيت.

لذلك أطلق هابارا على المرأة لقب شهرزاد، لم يستخدم هذا الاسم في وجودها قط، لكنه كان الاسم الذي يشير به إليها في دفتر يومياته الصغير الذي يحتفظ به. "جاءت شهرزاد اليوم" كان يدون ملاحظاته بقلم حبر جاف، ثم يسجل ملخص قصة اليوم بمصطلحات بسيطة أشبة بشفرة، تحيّر كل من قد يقرأ اليوميات لاحقًا.

لم يكن هابارا يعلم إذا ما كانت قصصها حقيقية أم متخيلة، أم حقيقية في جزء منها ومتخيلة في أجزاء أخرى، لم تكن لديه وسيلة للتحقق من ذلك. يحتشد الواقع والافتراض، والتأمل، والخيال المحض في قصصها. لذلك كان هابارا يستمتع بها كطفل، دون أن يشكك كثيرًا. ما الفرق بالنسبة له على أي حال؟ سواء كانت أكاذيب أو حقائق أو مزيج معقد من الاثنين؟

أياً كان الأمر، كانت لدى شهرزاد موهبة في سرد القصص التي تلامس شغاف القلوب، بغض النظر عن القصة، كانت تجعل منها شيئًا مميزًا. كان صوتها وتوقيتها، وإيقاعها جميعًا بلا شائبة، تشد انتباه مستمعها، وتشوقه، وتحمله على التأمل والتخمين. بعد ذلك، في النهاية تمنحه ما كان يبحث عنه تحديدًا. كان هابارا يغيب عن الواقع المحيط به بتأثير سحر قصصها، ولو للحظات على الأقل، تمّحي المخاوف والذكريات المريرة من ذاكرته، كسبورة مُسحت بقماشة مبللة، من كان ليطلب المزيد؟ في هذه المرحلة من حياته، ذلك النوع من النسيان هو ما كان هابارا يرغب فيه أكثر من أي شيء آخر.

كانت شهرزاد في الخامسة والثلاثين من عمرها، تكبر هابارا بأربعة أعوام ربة منزل بدوام كامل ولديها طفلين بالمدرسة الابتدائية (على الرغم من أنها كانت ممرضة مرخصة، وكان يتم استدعاءها للعمل من فترة لأخرى على ما يبدو) وزوجها موظف شركة عادي، يبعد منزلهم مسيرة ثلث ساعة بالسيارة من منزل هابارا. هذه هي جميع (أو تقريبًا جميع) المعلومات الشخصية التي كشفت عنها، لم تكن لدى هابارا أي وسيلة للتحقق من مدى صحتها، لكنه لم يجد سببًا معينًا يدفعه للتشكيك بما تقوله. ولم تفصح عن اسمها قط، سألته: "لست بحاجة لمعرفته، أليس كذلك؟" كما لم تخاطب هابارا باسمه إطلاقًا، مع أنها كانت تعرفه بالطبع. كانت تتجنب ذكر اسمه بحصافة، كما لو أن ذلك سيجلب نحسًا، أو لا يليق التفوه به.

لم تكن ثمة علاقة – ظاهريًا على الأقل- بين شهرزاد هذه، وملكة 'ألف ليلة وليلة' الجميلة، كانت تزحف نحو منتصف عمرها، وبدأ جسدها يترهل، وتهدل لغدها، وارتسمت التجاعيد حول زوايا عينيها، لم تكن تسريحة شعرها، وهندامها وزينتها تفتقر للعناية تمامًا، لكن لم يكن من المرجح أن تتلقى أي إطراء أيضًا. قسماتها على شيء من الجاذبية، لكن وجهها ينقصه العناية، لذلك كانت تترك لدى

من يراها انطباعًا غامضًا. ونتيجة لذلك، كان الذين يمرون بجوارها في الشارع أو يستقلون معها نفس المصعد، يلتفتون إليها بالكاد، ربما كانت تبدو امرأة أكثر حيوية وجاذبية، وتدير بضعة رؤوس قبل عشرة أعوام. إلا أنه في مرحلة ما أسدل الستار على تلك المرحلة من حياتها ويبدو أنه من المستبعد أن يرتفع مجددًا.

كانت شهرزاد تزور هابارا مرتين أسبوعيًا، لم تكن تزوره في أيام محددة لكنها لم تزره قط في عطلات نهايات الأسبوع التي، بلا شك، كانت تمضيها مع أسرتها ودائمًا ما تهاتف هابارا قبل مجيئها، تشتري حاجيات البقالة من السوبرماركت المحلي وتجلبها معها في سيارتها طراز مازدا، هاتشباك زرقاء اللون، وهي موديل قديم، وبها انبعاجة على المصد الخلفي وإطاراتها مسودة بالسخام. بعد ركنها في المساحة المخصصة للمنزل، تحمل الأكياس إلى الباب الأمامي، وتضغط الجرس. يفتح هابارا الباب، بعد النظر خلال ثقب الباب، ويفك السلسة، ويسمح لها بالدخول. تتجه للمطبخ، وترتب الحاجيات في الثلاجة، كانت تؤدي هذه المهام بمهارة، دون أي إهدار للحركات، وبقليل من الكلام خلال ذلك كله.

ما أن تفرغ من ذلك، كان الاثنان ينتقلان إلى غرفة النوم، كأنما يحملهما تيار خفي، تخلع ملابسها بسرعة، وهي لا تزال صامتة، وتنضم إلى هابارا في الفراش. كانت تتحدث بالكاد خلال ممارستهما للحب أيضًا وتقوم بكل فعل كأنها تؤدي مهمة وعندما يأتيها الطمث، كانت تستخدم يدها لتصل به إلى الذروة مهارتها وأسلوبها الذي يشي بالاحتراف ذكّرا هابارا بأنها ممرضة مرخصة.

بعد ممارسة الجنس، كانا يستلقيان في الفراش ويتحدثان، أو بالأحرى كانت هي تتحدث وهو يستمع، ويضيف كلمة هنا ويلقي سؤالاً هناك. تقطع قصتها عندما

تعلن الساعة عن وصولها للرابعة وثلاثين دقيقة. ولسبب ما دائمًا ما تكون القصة قد بلغت ذروتها للتو، وتقفز خارج الفراش، وتجمع ملابسها، وتستعد للمغادرة، تقول أنها عليها العودة للمنزل لإعداد العشاء.

كان هابارا يرافقها إلى الباب، ويعيد تركيب السلسلة، وينظر خلال فرج الستائر للسيارة الزرقاء الصغيرة وهي تنطلق مبتعدة. عند السادسة يعد عشاءً بسيطاً ويتناوله بمفرده، كان قد عمل كطاه من قبل، لذلك فإن إعداد وجبة لم يكن بالأمر الشاق، يشرب البيريه مع عشائه (لم يكن يقرب الكحول إطلاقاً) ويردفه بفنجان قهوة، يرتشفها أثناء مشاهدة قرص دي في دي أو القراءة، كان يحب الكتب الكبيرة، لا سيما تلك التي عليه أن يقرأها عدة مرات ليستوعبها، فهو لم يكن لديه الكثير ليفعله، ولم يكن لديه أي أحد ليتحدث معه، أو ليهاتفه. دون جهاز كمبيوتر، لم تكن لديه وسيلة للوصول للإنترنت، وليس هناك صحيفة يتم توصيلها له، ولم يكن يشاهد التلفاز إطلاقاً (ثمة سبب وجيه لذلك) من الواضح أنه لم يكن بمقدوره مغادرة المنزل. سيكون وحيدًا تمامًا إذا انقطعت زيارات شهرزاد لسبب ما.

لم يكن هابارا قلقًا جدًا بشأن هذا الاحتمال، قال لنفسه، إذا حدث ذلك، سيكون صعبًا علي، لكنني سوف أتدبر أمري بطريقة أو بأخرى، لست عالقًا بجزيرة مهجورة، لا، أنا نفسي جزيرة مهجورة. لطالما كان يجد الراحة في عزلته، إلا أن فكرة عدم تمكنه من الحديث مع شهرزاد في الفراش هي ما كانت تؤرقه، أو أكثر تحديدًا، تفويت الحلقة التالية من قصتها.

"لقد كنت ثعبان بحر في حياة سابقة" قالت شهرزاد ذات يوم وهما يستلقيان معًا في الفراش، كان كلامًا بسيطًا ومباشرًا، وعفويًا كأنها تقول أن القطب الشمالي يقع في أقصى الشمال، لم تكن لدى هابارا أدنى فكرة عن أي نوع من

المخلوقات تكون ثعابين البحر هذه، ناهيك عن كيف تبدو الواحدة منها، لذلك لم يكن له رأي محدد في ما قالته.

سألته: "أتعرف كيف تأكل ثعابين البحر أسماك السلمون المرقط؟"

لم يكن يعرف. في الواقع، كانت هذه هي المرة الأولى التي يسمع فيها أن ثعابين البحر تأكل السلمون المرقط.

"ثعابين البحر ليست لديها فكوك، وهذا ما يميزها عن أسماك الأنقليس الأخرى"

"هه؟ الأنقليس لديها فكوك؟"

قالت متفاجئة: "ألم تلق نظرة على إحداها عن كثب؟"

"أتناول الأنقليس من حين للآخر، لكن لم تتح لي الفرصة لرؤية إذا ما كانت لديها فكوكًا"

"حسنًا، يجدر بك تفقدها في وقت ما، اذهب إلى حديقة أسماك أو ما شابه معظم أسماك الأنقليس لديها فكوك و أسنان، لكن ثعابين البحر لديها ممصات فقط، والتي تستخدمها لتثبيت نفسها على الصخور في قاع نهر أو بحيرة، وتتشبث في مكانها فحسب، متأرجحة في مكانها يمنة ويسرة كأعشاب البحر"

تصور هابارا عددًا من ثعابين البحر تتمايل كأعشاب البحر في قاع بحيرة، بدا له المشهد منفصمًا عن الواقع، مع أنه كان يدرك أن الواقع أحيانًا يكون غير واقعي بصورة فظيعة.

"تعيش ثعابين البحر هكذا، تقبع مختبئة بين الأعشاب، وعندما تمر سمكة سلمون مرقط فوقها، تنقض عليها وتنشب فيها ممصاتها، التي يوجد بداخلها أشياء

أشبه بألسِنة مزودة بأسنان، والتي تحتك ببطن السملون المرقط حتى تحدث فيها ثغرة وتبدأ بالتهام اللحم شيئًا فشيئًا."

قال هابارا: "ما كنت لأود أن أكون سلمونًا مرقطًا"

"قديمًا في عصر الرومان، كانوا يقومون بتربية ثعابين البحر في أحواض ويلقون بالعبيد العصاة بها لتأكلهم وهم أحياء"

قال هابارا لنفسه أنه ما كان ليستمتع بكونه عبدًا رومانيًا أيضًا.

"رأيت ثعبان بحر للمرة الأولى عندما كنت بالمدرسة الابتدائية، في رحلة صيفية إلى حديقة مائية. في اللحظة التي قرأت فيها وصف أسلوب حياتها، أدركت أنني كنت واحدة منها في حياة سابقة، أعني أنه يمكنني أن أتذكر فعليًا تشبثي بصخرة وأنا أتمايل خلسة بين الأعشاب، أحدق في أسماك السلمون السمينة وهي تسبح فوقي"

"أيمكنك تذكر أكلك لها؟"

"لا، لا أتذكر"

قال هابارا: "تريحني معرفة ذلك، لكن أهذا كل ما تستحضرينه من حياتك كثعبان بحر، تتمايلين جيئة وذهابًا في قاع نهر؟"

"لا يمكنك استدعاء حياة سابقة هكذا ببساطة، إذا كنت محظوظًا ستخطر لك ومضة وجيزة عما كان عليه الأمر، مثل اختلاس نظرة خاطفة من شق ضيق في جدار، أيمكنك استحضار أي من حيواتك السابقة؟"

"لا، ولا واحدة"

والحق يقال، فهو لم يشعر قط برغبة ملحة في العودة بذاكرته لزيارة حياة سابقة لديه ما يكفيه وأكثر في حياته الحالية.

"مع ذلك، كنت أشعر أن قاع البحيرة في غاية النظام والهدوء وأنا مقلوبة رأسًا على عقب متشبثة بفمي بصخرة، أشاهد لأسماك تعبر فوقي ذات مرة رأيت سلحفاة ضخمة، ظل أسود هائل يعبر بجواري مثل سفينة فضائية شريرة في 'حرب النجوم' وطيور بيضاء عملاقة ذات مناقير طويلة حادة. من الأسفل بدت كسحب بيضاء تعبر صفحة السماء"

"يمكنكِ رؤية هذه الأشياء الآن؟"

"بوضوح النهار، الضوء، وقوة التيار، وكل شيء. أحيانًا يمكنني أن أعود إلى هناك في عقلي"

"إلى ما كنت تفكرين به حينئذٍ؟"

"نعم"

"ما الذي تفكر به ثعابين البحر؟"

"تفكر ثعابين البحر بأشياء شبيهة بثعابين البحر، عن مواضيع أشبه بثعابين البحر، في سياقات أشبه بثعابين البحر، ليس ثمة كلمات لتلك الأفكار، إنها تنتمي لعالم الحياة المائية. الأمر أشبه بحياتنا داخل الرحم، كنا نفكر بأشياء هناك، لكن ليس بمقدورنا أن نعبر عن تلك الأفكار باللغة التي نستخدمها هنا بالخارج صحيح؟"

"مهلاً لحظة، أيمكنك تذكر ما كان عليه الوضع داخل الرحم؟"

"بالطبع" قالت شهرزاد وهي ترفع رأسها لتنظر فوق صدره "ألا يمكنكَ ذلك؟"

قال: "لا"

لا يمكنه ذلك.

"إذاً سأخبرك بذلك في وقت ما، عن الحياة في الرحم"

(شهرزاد، ثعبان بحر، حيوات سابقة)

هذه هي الكلمات التي دونها هابارا في مذكراته في ذلك اليوم، كان يشك أنه إذا عثر أي شخص عليها أن يكون بمستطاعه أن يخمن ما تعنيه تلك الكلمات.

التقى هابارا بشهرزاد قبل أربعة أشهر، نُقلَ إلى هذا المنزل الواقع بمدينة ريفية شمال طوكيو، وتم تعيينها باعتبارها علاقته الداعمة، كان واجبها- بما أنه لم يكن قادراً على الخروج- أن تشتري الطعام والأشياء الأخرى التي يطلبها وتجلبها للمنزل، كما كانت تتابع كل الكتب والمجلات التي يرغب في قراءتها وأي أقراص مدمجة يرغب في الاستماع إليها بالإضافة إلى ذلك، كانت تختار منوعات من أقراص الـ دي في دي، بيد أنه لم يستسغ معاييرها في الاختيار في هذا الجانب.

بعد أسبوع من وصوله، وكأنها الخطوة التالية الطبيعية، أخذته شهرزاد إلى الفراش، كانت هناك واقيات ذكرية على المنضدة بجوال الفراش عندما جاء خمن هابارا أن الجنس أحد واجباتها الموكلة إليها، أو ربما *أنشطة الدعم* كان المصطلح الذي يستخدمونه. أيًا كان المصطلح، وأيًا كان دافعها فقد سار مع التيار وقبل اقتراحها دون تردد.

لم تكن ممارستهما للجنس إجبارية، لكن لا يمكن القول بأنهما كانا شغوفين بالأمر أيضًا، كانت تبدو حذرة، خشية أن يزداد حماسهما أكثر من اللازم، تمامًا كمدرب قيادة السيارات الذي لا يرغب في أن يتحمس متدربه بشدة في تعلم القيادة مع ذلك، بما أنه لا يمكن نعت ممارسة الحب بأنها كانت شغوفة، فإنها أيضًا لم

تكن كأداء واجب فحسب، قد تبدأ كواحدة من مهامها (أو على الأقل، كشيء يُشجع عليه) لكنها في مرحلة معينة، بدت- ولو بدرجة قليلة- وكأنها تجد شيئًا من المتعة كان هابارا يعرف هذا من تغييرات طفيفة في الطريقة التي يتجاوب بها جسدها

تجاوبًا كان يسرّه هو أيضًا، رغم كل شيء، فهو لم يكن حيوانًا بريًا حبيسًا في قفص، بل إنسان لديه كافة أنواع المشاعر وقد كان الجنس -لغرض التفريغ الجسدي وحده- مرضيًا بالكاد، مع ذلك فهو لم يكن يعرف إلى أي مدى كانت شهرزاد تعتبر علاقتهما الجنسية كأحد مهامها، وإلى أي مدى كان ذلك يدخل نطاق حياتها الخاصة.

وكان هذا ينطبق على أشياء أخرى أيضًا، كثيرًا ما كان يجد صعوبة في معرفة مشاعر ونوايا شهرزاد، على سبيل المثال، كانت ترتدي ملابس داخلية عادية من القطن في معظم الأوقات، نوع الملابس الداخلية الذي تخيل أن ربات المنازل في الثلاثينات من أعمارهن ترتديها عادة، مع أن هذا كان تخمينًا صرفًا بما أنه لم تكن لديه أي تجربة مع ربات المنازل في هذه السن، إلا أنها في بعض الأيام، بدلاً من ذلك، تأتي مرتدية ملابس داخلية ملونة من الحرير المزركش، لم تكن لديه أدنى فكرة عن سبب تبديلها بين الاثنين.

الأمر الآخر الذي حيره، هو أن حقيقة ممارستهما للحب وسردها للقصص كانا مرتبطين بشكل وثيق، مما يصعّب معرفة أين ينتهي أحدهما ، وأين يبدأ الآخر . لم يمر بتجربة مماثلة من قبل، على الرغم من أنه لم يكن يحبها، والجنس كان وسطاً، إلا أنه كان شديد التعلق بها جسديًا الأمر برمّته كان مستغلِقًا.

"كنت مراهقة عندما بدأت اقتحام المنازل الخالية " قالت ذات يوم وهما يضجعان في الفراش.

لم يجد هابارا ما يقوله، كما هي الحال عادة عندما تبدأ السرد.

سألته: "هل سبق و اقتحمت منزل أحدهم؟"

أجاب بحلق جاف: "لا اعتقد ذلك"

"افعلها مرة، وسوف تصير مدمنًا"

"لكن ذلك غير قانوني"

"يمكنك أن تراهن على ذلك، إنه عمل خطير، لكن مع ذلك ستدمنه ولن تجد منه فكاكاً"

انتظرها هابارا بصمت حتى تكمل

"أروع ما في وجودك في منزل أحدهم عندما يكون خاليًا من قاطنيه هو الصمت المطبق الذي يسود المكان، وكأنه أهدأ مكان في العالم، على أي حال هذا ما شعرت به، عندما اقتعدتُ الأرضية وظللت ساكنة بلا حراك، عادت إلي حياتي ثعبان بحر ، اخبرتك عن كوني ثعبان بحر في حياة سابقة صحيح؟"

"نعم، أخبرتني"

"كان الأمر شبيهًا بذلك بدرجة كبيرة، ممصاتي ملتصقة بصخرة تحت الماء وجسدي يتموج جيئة وذهاباً كالأعشاب من حولي، ويخيم الهدوء على كل شيء مع أن ذلك قد يُعزى لعدم امتلاكي آذانًا. في الأيام المشمسة، يشق الضوء طريقه من السطح كسهم، تسبح فوقي الأسماك من كل الألوان والأشكال ويكون عقلي خاليًا من الأفكار، أعني أفكار غير أفكار ثعابين البحر، كانت غائمة لكنها في غاية النقاء وقد كان ذلك القاع مكانًا رائعًا لتتواجد فيه."

المرة الأولى التي اقتحمت فيها شهرزاد منزل أحدهم، كما أوضحت كانت في المدرسة الثانوية المتوسطة، كانت تهيم حبًا بأحد الفتيان في صفها. مع أنه لم يكن بالشخص الذي يوصف بالوسامة، فقد كان فارع الطول، ذو ملامح محددة وطالبًا مجتهدًا يلعب بفريق كرة القدم، كانت منجذبة نحوه بشدة، لكن يبدو أنه كان معجبًا بفتاة أخرى في صفهما ولم يلق بالاً لشهرزاد. في الواقع، من الوارد أنه لم يكن

مدركًا لوجودها. على أي حال، لم يكن بمستطاعها نسيانه وتخطي الأمر، فمجرد رؤيته كانت تقطع أنفاسها، وأحيانًا تشعر وكأنها على وشك التقيؤ، قالت لنفسها أنها إذا لم تفعل شيئًا حيال الأمر، فقد تفقد صوابها، لكن الاعتراف بحبها كان أمرًا مستبعدًا.

ذات يوم، تغيبت شهرزاد عن المدرسة وذهبت إلى منزل الفتى، الذي يبعد خمسة عشرة دقيقة من منزلها. كانت قد أجرت بحثًا حول وضع أسرته أولاً والدته تدرّس اللغة اليابانية بمدرسة في بلدة مجاورة، والده الذي يعمل بأحد شركات الأسمنت توفي في حادث سيارة قبل بضع سنوات، وشقيقته طالبة بالمرحلة الثانوية. مما يعني أن المنزل قد يكون خاليًا خلال النهار.

بطبيعة الحال، كان الباب الأمامي مقفلاً، تفقدت شهرزاد تحت البساط بحثًا عن مفتاح، وبالطبع وجدت واحدًا هناك. تنخفض معدلات الجريمة في الأحياء السكنية الهادئة في المدن الريفية كمدينتهم، ودائمًا ما يُترك مفتاح احتياطي تحت البساط أو أصيص النباتات.

لتكون في مأمن، ضغطت شهرزاد الجرس وانتظرت لتتأكد من عدم وجود أحد. قامت بمسح الشارع خشية أن تكون مراقبة، فتحت الباب ودلفت إلى المنزل ثم أقفلت الباب ثانية من الداخل، خلعت حذاءها ووضعته في كيس بلاستيكي وحشرته في حقيبة ظهرها، ثم صعدت الدرج على أطراف أصابعها إلى الطابق الأعلى.

وجدت الغرفة – كما تصورت تمامًا – في غاية الترتيب وكان ثمة ستريو صغير على رف الكتب إلى جانب عدد من الأقراص المدمجة وعلى الجدار رزنامة عليها صورة لفريق برشلونة لكرة القدم، وإلى جوارها ما بدا كعلم لفريق

ولم يكن هناك شيء آخر، ما من ملصقات أو صور، مجرد جدار مطلي بلون كريمي. تتدلى ستارة بيضاء من فوق النافذة، كانت الغرفة منظمة، وكل شيء حيث يجب أن يكون، ليس ثمة كتب ملقاة هنا وهناك أو ملابس على الأرضية تشي الغرفة بهوس صاحبها بالنظام، أو بأم ترتب منزلها بصورة مثالية، أو الاثنين معًا.

وقد أشعر ذلك شهرزاد بالتوتر، فإذا كانت الغرفة غارقة في الفوضى ما كان ليلاحظ أحدهم أي آثار قد تخلفها. وفي نفس الوقت، أسعدتها نظافة وبساطة الغرفة وترتيبها المثالي، فقد كانت تشبهه كثيرًا.

جلست شهرزاد على كرسي المكتب، وظلت في مكانها لفترة، قالت لنفسها وقلبها يخفق بشدة، هذا هو المكان الذي يذاكر فيه كل ليلة. التقطت الأدوات التي على مكتبه واحدة تلو الأخرى، وقلبتها بين أصابعها واستنشقتها، ووضعتها على شفتيها، أقلامه، ومقصاته، ومسطرته، حتى أتفه الأشياء بدت لها بهية لأنها كانت تخصه.

فتحت أدراج مكتبه وتفقدت محتوياتها بحذر، كان الدرج الأعلى مقسمًا إلى قسمين، كل قسم يحتوي على تذكارات وأشياء مبعثرة. والدرج الثاني به دفاتره المدرسية، والدرج الأخير كان يعج بأوراق قديمة متنوعة، دفاتر ملاحظات وامتحانات، كل شيء تقريبًا كان متصلاً بالمدرسة أو بكرة القدم. كانت تأمل أن تعثر على شيء شخصي، دفتر يوميات ربما، أو رسائل، لكن المكتب لم يحتو على أي شيء من هذا القبيل، ولا حتى صورة شخصية. وقد وجدت شهرزاد ذلك أمرًا غريبًا، أليس في حياته أي شيء آخر سوى المدرسة وكرة القدم؟ أم أنه أخفى كل شيء ذو طبيعة شخصية بحرص، حيث لا يمكن لأي أحد أن يصادفه؟

مع ذلك، فإن مجرد الجلوس إلى مكتبه والتطلع إلى كتاباته بخط يده كان كفيلاً بتحريك مشاعر شهرزاد لأقصى الحدود، ولتهدئ نفسها نهضت من الكرسي وجلست على الأرضية، رنت ببصرها إلى السقف كل ما حولها غارق في صمت مطبق. وهكذا عادت إلى عالم ثعابين البحر.

سألها هابارا : "إذاً كل ما فعلتِه هو التسلل إلى منزله والتنقيب بين أغراضه والجلوس على الأرضية؟"

"لا، هناك المزيد، أردت أن آخذ معي شيئًا يخصه، شيء يستخدمه كل يوم أو شيء كان قريبًا من جسده، لكن يجب ألا يكون شيئًا هامًا قد يفتقده لذلك سرقت أحد أقلام الرصاص"

"قلم رصاص واحد؟"

"نعم، قلم كان يستعمله، لكن السرقة لم تكن كافية، قد يجعل ذلك الأمر حالة سرقة صريحة. وحقيقة أنني ارتكبتها ستكون بلا معنى، في النهاية كنت لصة حب"

لصة الحب؟ بدت العبارة لهابارا كأحد أسماء الأفلام الصامتة.

"لذلك قررت أن أترك شيئًا مكانه، كإشارة من نوع ما، كدليل على أنني كنت هناك، كإيضاح بأنها عملية تبادل، وليست مجرد سرقة. لكن ما الذي علي أن أتركه؟ لم يخطر ببالي أي شيء، بحثت في حقيبة ظهري وفي جيوبي، لكنني لم أعثر على أي شيء ملائم. أحنقني غبائي بعدم التفكير بإحضار شيء مناسب وأخيرًا قررت أن اترك سدادة قطنية، واحدة غير مستعملة بالطبع، لا تزال في غلافها البلاستيكي، كانت دورتي الشهرية تقترب، لذلك كنت احملها معي لأكون بمأمن. خبأتها في الركن الخلفي من الدرج الأسفل، حيث يصعب العثور عليها

وقد استثارني ذلك للغاية، حقيقة أن سدادة قطنية تخصني مخبئة في درج مكتبه ربما لأنني كنت في غاية الاستثارة، فقد ابتدأت دورتي الشهرية بعد ذلك بوقت ليس بالطويل."

سدادة مقابل قلم رصاص، قال هابارا لنفسه، ربما هذا ما يجب أن يدونه في دفتر يومياته لذلك اليوم: "لصة الحب، قلم رصاص، سدادة قطنية" كم يود أن يعرف ما سيفهمونه من هذا !

"كنت في غرفته لحوالي خمسة عشرة دقيقة، لم استطع المكوث لفترة أطول، فقد كانت تجربتي الأولى في التسلل إلى المنازل، وكنت أخشى أن يداهمني أحدهم. تحققت من خلو الشارع وانزلقت خارجة من الباب وأغلقته، وأعدت المفتاح إلى مكانه تحت البساط، ثم ذهبت إلى المدرسة وأنا احمل قلمه الثمين"

صمتت شهرزاد، يبدو أنها عادت بالزمن، وكانت تتصور الحوادث التي وقعت بعد ذلك.

قالت بعد توقف طويل:

"كان ذلك أسعد أسبوع في حياتي، شخبطت عدة أشياء اعتباطية في دفتر ملاحظاتي مستخدمة قلمه، تنشقته، وقبلته، ومسحت به على خدي وقلبته بين أصابعي، وأحيانًا كنت ادخله في فمي و أمصّه. بالطبع آلمني أنه كلما كتبت به أكثر، صار أقصر، لكن لم تكن بيدي حيلة. قلت لنفسي إذا أصبح قصيرًا جدًا يمكنني دومًا أن أعود وآخذ قلمًا آخر، كانت هناك كمية من أقلام الرصاص المستعملة في حاملة الأقلام على مكتبه، ولن يطوف بذهنه أن أحدها قد اختفى. وعلى الأرجح لم يجد السدادة المخبأة داخل درجه بعد، أثارت هذه الفكرة حماستي لأبعد الحدود، وسببت لي رعشة غريبة بالأسفل، لم أعد انزعج من أنه- في العالم

الحقيقي- لا يعبأ بي، أو أنه لا يبدو أنه مدرك لوجودي، لأنني أمتلك شيئًا يخصه سرًا جزءًا منه، أيًا كان.

بعد عشرة أيام، تغيبت شهرزاد عن المدرسة مجددًا، وسجلت زيارة ثانية لمنزل الفتى. كانت الساعة الحادية عشرة صباحًا، وكما في المرة السابقة أخرجت المفتاح من تحت البساط وفتحت الباب، ومجددًا كانت غرفته لا تشوبها شائبة، أولاً اختارت قلم رصاص قد يعمّر لوقت أطول ووضعته بحرص في علبة أقلامها. ثم اضجعت على فراشه بحذر شديد ويديها متشابكتين على صدرها، وحملقت بالسقف، هذا هو الفراش الذي ينام عليه كل ليلة، تسببت هذه الفكرة في تسارع دقات قلبها، ووجدت صعوبة في التنفس بصورة طبيعية، ولم تكن رئتاها تمتلئان بالهواء وصار حلقها جافًا كعظمة، مما جعل تنفسها مؤلمًا.

نهضت من الفراش، وسوّت الأغطية بعناية، ثم جلست على الأرضية كما فعلت في زيارتها السابقة، نظرت مجددًا إلى السقف، وقالت لنفسها لست مستعدة تمامًا لفراشه، فهذا فوق طاقتي.

هذه المرة بقيت شهرزاد بالمنزل لنصف ساعة، أخرجت دفاتره من الدرج وتصفحتها ، وجدت تقريرًا عن كتاب وقرأته، كان عن (كوكورو) رواية لـ سوسيكي تاتسومي، واجب القراءة لذلك الصيف، كان خط يده جميلاً، كما يتوقعه المرء من طالب متفوق، ليس ثمة أي خطأ أو سهو في أي مكان وقد حصل فيه على درجة ممتاز ، ماذا عساها أن تكون غير ذلك؟ أي أستاذ يواجه بذلك المستوى من الكتابة كان ليمنحه درجة ممتاز بصورة آلية، سواء كلف نفسه عناء قراءة سطر واحد أم لا.

انتقلت إلى أدراج خزانة ملابسه، وأخذت تتفحص محتوياتها بالترتيب ملابسه الداخلية، وجواربه، وقمصانه، وسراويله، وزي كرة القدم. كانت جميعها مطوية

بإتقان، لا شيء ملطخ أو مجعد، هل هو من قام بطيّها؟ أو على الأرجح أن والدته هي من قامت بذلك؟ شعرت بوخزة من الغيرة تجاه والدته التي يمكنها فعل هذه الأشياء من أجله كل يوم.

انحنت شهرزاد وتشممت الملابس في الأدراج، تعبق جميعها برائحة الشمس و الغسيل المنعشة. أخرجت تيشيرت رمادي عادي، فردته ودفنت وجهها فيه، ألا يمكن أن تكون نفحة من رائحة عرقه عالقة تحت الكمين؟ لكن لم يكن هناك شيء. على أي حال، ظلت على حالها لبعض الوقت تستنشق من خلال أنفها، أرادت أن تحتفظ بالقميص لنفسها، لكن في ذلك مخاطرة كبيرة، كانت ملابسه مرتبة ترتيبًا دقيقًا، فهو (أو أمه) على الأرجح يعلم عدد القمصان الموجودة بالدرج بالتحديد وإذا اختفى أحدها قد تنفتح أبواب الجحيم. أعادت طي التيشيرت بحرص وأعادته حيث كان. وبدلاً عنه أخذت شارة صغيرة شكلها أشبه بكرة قدم، وجدتها في أحد أدراج المكتب، يبدو أنه حصل عليها عندما كان يلعب بفريق كرة القدم بالمدرسة الابتدائية، ظنت أنه لن يلاحظ اختفاءها، أو على الأقل قد يستغرق وقتًا قبل أن يلاحظ. وهي لا تزال بمكانها، تفقدت الدرج السفلي حيث خبأت السدادة القطنية كانت لا تزال بمكانها.

حاولت شهرزاد تصور ما قد يحدث إذا عثرت أمه على السدادة القطنية، ما الذي ستعتقده؟ هل ستطالبه بتوضيح ما تفعله السدادة في مكتبه؟ أم ستحتفظ بذلك سرًا وتظل تقلب شكوكها السوداوية في عقلها؟ لم تكن لدى شهرزاد أدنى فكرة لكنها قررت أن تدع السدادة القطنية في مكانها، فهي رغم كل شيء كانت أول هدية رمزية منها.

لتخليد زيارتها الثانية، تركت شهرزاد ثلاث خصلات من شعرها كانت قد انتزعتها من شعرها في الليلة الماضية، لفتها في كيس بلاستيكي ووضعتها في

مظروف صغير . والآن أخرجت ذلك المظروف من حقيبتها ووضعته بين صفحات أحد دفاتر الرياضيات القديمة في درجه، كانت الخصلات الثلاث مستقيمة وسوداء متوسطة الطول، لن يعرف أي شخص صاحبها دون فحص DNA، مع أنها من الواضح كانت خصلات شعر فتاة.

غادرت منزله وتوجهت مباشرة إلى المدرسة، ووصلت في وقت حصة بعد الظهر الأولى. ومجددًا، غمرها الشعور بالرضا لعشرة أيام أخرى شعرت بأنها تمتلكه أكثر، لكن كما هو متوقع، هذه السلسة من الأحداث ما كانت لتنتهي دون مشكلة، فكما قالت شهرزاد، إن التسلل إلى منازل الناس قد يصبح سلوكًا إدمانيًا.

عندما بلغت القصة هذا الحد، نظرت شهرزاد إلى الساعة التي إلى جانب الفراش، ووجدتها 4:32. "علي الذهاب" قالت وكأنها تحدث نفسها وقفزت خارج الفراش، وارتدت ملابسها الداخلية البيضاء، وشبّكت حمالة صدرها، ثم انزلقت داخل سروال الجينز، وسحبت قميصًا ذي لون أزرق قاتم ماركة نايك فوق رأسها. ثم غسلت يديها في الحمام، ومررت فرشاة على شعرها، وانطلقت بسيارتها المازدا الزرقاء.

استلقى هابارا في الفراش، وحيدًا وليس لديه ما يفعله، وأخذ يتأمل القصة التي روتها له للتو، مستمتعًا بكل ما ورد فيها، كبقرة تجتر ما أكلته وتساءل، إلى أين تتجه القصة؟ وكما هو الحال مع جميع قصصها، لم تكن لديه فكرة. وجد صعوبة في تصور شهرزاد كطالبة بالمدرسة الثانوية، هل كانت رشيقة عندئذٍ؟ وخالية من الترهلات التي عليها الآن؟ زي مدرسي جوارب بيضاء، شعر مجدول؟

لم يشعر بالجوع بعد، لذلك أجّل إعداد عشاءه وعاد للكتاب الذي كان يقرأه إلا أنه لم يستطع التركيز، كانت صورة شهرزاد، وهي تتسلل إلى غرفة زميلها وتدفن

وجهها في قميصه، لا تزال مشتعلة في ذهنه، كان لا يطيق صبرًا لمعرفة ما حدث بعد ذلك.

كانت زيارة شهرزاد التالية للمنزل بعد ثلاثة أيام، بعد مرور عطلة نهاية الأسبوع. وكالعادة، جاءت محملة بأكياس ورقية كبيرة متخمة بالمؤن، تفقدت الطعام في الثلاجة، واستبدلت كل ما انتهت مدة صلاحيته ثم تفحصت المؤن المعبأة في علب وقناني في الخزانة، وكذلك تفقدت البهارات والتوابل لمعرفة ما يوشك على النفاد، ثم دونت قائمة تسوق وضعت بعض زجاجات البيرة في الثلاجة لتبرد. وأخيرًا قامت برصف الكتب الجديدة وأقراص الـ دي في دي التي جلبتها معها على الطاولة.

"هل ثمة ما تحتاجه أو تحتاج المزيد منه؟"

"لا يخطر ببالي أي شيء"

وبعدها، كما جرت العادة، ذهب الاثنان إلى الفراش ومارسا الجنس بعد قدر مناسب من المداعبة، زلق واقيه الذكري، وولجها، وبعد فترة مناسبة من الوقت وصل ذروته. وبعد أن ألقت نظرة خبير على محتويات الواقي، شرعت شهرزاد في الحلقة التالية من قصتها.

كما في السابق، شعرت بالرضا لعشرة أيام بعد اقتحامها الثاني وضعت شارة كرة القدم في علبة أقلامها، وكانت تداعبها بإصبعها خلال الحصص بين الفينة والأخرى، أخذت قضمة من قلم الرصاص، ولعقت سنّه وهي تفكر بغرفته طوال الوقت ، فكرت بمكتبه، والفراش حيث ينام وأدراج خزانته المليئة بملابسه وسراويله القصيرة النظيفة، والسدادة القطنية، والخصلات الثلاث التي خبأتها في درجه.

فقدت كل اهتمامها بالواجبات المدرسية. عندما تكون في الصف، إما أن تعبث بالشارة وقلم الرصاص، أو تغرق في أحلام اليقظة. وعندما تعود للمنزل، لا تكون في حالة ذهنية تشجعها على أداء فروضها المنزلية، لم تكن درجاتها سيئة إطلاقًا، كما لم تكن طالبة متفوقة أيضًا، لكنها كانت فتاة مجتهدة ودائمًا ما تؤدي واجباتها، لذلك عندما وجه إليها الأستاذ سؤالاً في الصف ولم تجب الإجابة الصحيحة، كان محتارًا أكثر من كونه غاضبًا. في النهاية، استدعاها إلى مكتب الأساتذة خلال استراحة الغداء، سألها: "ما الخطب؟ هل هناك ما يزعجك؟" همهمت كلمات غامضة عن عدم شعورها بأنها على ما يرام. كان سرّها أكثر خطورة وجسامة من أن تفصح عنه لأي أحد، وكان عليها أن تنوء تحت وطأته لوحدها.

"كان علي أن أواصل اقتحام منزله، كنت مضطرة لذلك، كان عملاً خطيرًا للغاية، كما يمكنك تخيل ذلك، كنت أعلم ذلك، عاجلاً أم آجلاً سيداهمني أحدهم هناك، وسيتم استدعاء الشرطة، ملأتني هذه الفكرة بالرعب، لكن ما أن تبدأ الكرة العملاقة بالتدحرج، ليس ثمة مجال لإيقافها بعد عشرة أيام من *زيارتي* الثانية، عدت إلى هناك مجددًا، لم يكن لدي خيار، شعرت بأنني إذا لم اذهب، فلن احتمل الأمر وسوف أنهار، عندما أفكر بذلك الآن، اعتقد أنني كنت فتاة مجنونة."

سأل هابارا: " ألم يسبب لك التغيب المتكرر عن المدرسة أية مشاكل؟"

"كان والداي مشغولان بأمورهما الخاصة، فلم يكونا يولياني اهتمامًا كبيرًا، لم أتسبب في أي مشكلة حتذاك، ولم أتحدّ سلطتهما، لذلك كانا يفضلان عدم التدخل في شؤوني كثيرًا. تزييف الخطابات إلى المدرسة كان سهلاً، أوضحت للأستاذ المسئول عن الحضور أنني أعاني من مشكلة صحية تتطلب مني أني أن أمضي نصف يوم في المستشفى من وقت لآخر. وبما أن الأساتذة كانوا مهمومين أكثر

بشأن ما عليهم فعله حيال التلاميذ الغائبين عن المدرسة منذ عصور، لم يهتموا كثيرًا بأمر غيابي لنصف يوم من حين لآخر."

ألقت شهرزاد نظرة سريعة ناحية الساعة بجانب الفراش قبل أن تستأنف

"أخذت المفتاح من تحت البساط، ودخلت إلى المنزل للمرة الثالثة، كان في غاية الهدوء كما في السابق، لا، بل أكثر هدوءًا لسبب ما، جفلت عندما دارت الثلاجة، بدت وكأنها وحش عملاق يتنهد، ثم رن الهاتف، كان صون الرنين عاليًا وصاخبًا لدرجة ظننت معها أن قلبي سيتوقف وغمرني العرق، لم يجب أي أحد الهاتف بطبيعة الحال، وتوقف بعد حوالي عشر رنات، وأصبح المنزل أكثر هدوءًا من ذي قبل."

أمضت شهرزاد وقتًا طويلاً وهي متمددة في فراشه ذلك اليوم وهذه المرة لم يخفق قلبها بجموح، كان بمقدورها أن تتنفس بصورة طبيعية وكان يمكنها أن تتخيله نائمًا بجوارها بدعّة، وتشعر كأنها تتطلع إليه وهو نائم، شعرت بأنها إذا مدت يدها فسوف تلامس يده مفتولة العضلات، لم يكن هناك بجوارها بالطبع كانت تائهة في ضباب من أحلام اليقظة.

شعرت برغبة عارمة وملحة في تشممه، فنهضت من الفراش وسارت نحو أدراج خزانته، وفتحت واحدًا وتفحصت القمصان بداخله، جميعها كانت مغسولة ومطوية بعناية، كانت نقية وخالية من كل رائحة، تمامًا كما في السابق.

خطرت لها فكرة مفاجئة، فهرولت نزولاً إلى الطابق الأرضي، وجدت سلة الملابس المتسخة بالغرفة المجاورة للحمام. رفعت الغطاء، كانت ملابس أفراد الأسرة الثلاثة مكدسة معًا، الأم والابنة والابن، بدت أنها حصيلة يوم واحد أخرجت قطعة ملابس رجالية، تيشيرت أبيض بياقة مستديرة، وأخذت تتنشقه رائحة رجل شاب لا يمكن أن تخطئها، عفونة كانت قد اشتمتها من قبل عندما

يكون زملاءها الذكور بالصف بالقرب منها، لم تكن بالرائحة الرائعة بالتأكيد، لكن حقيقة أنها رائحته هو أدخلت على نفس شهرزاد بهجة لا حدود لها، وعندما وضعت أنفها بالقرب من الإبطين، شعرت وكأنها في أحضانه، مطوقة بذراعيه.

صعدت إلى الطابق الأعلى وهي تحمل التيشيرت، واستلقت في فراشه ثانية دفنت وجهها في قميصه واستنشقته بنهم، الآن صار بإمكانها الشعور بخدر واهن في الجزء الأسفل من جسدها، وانتصبت حلمتاها أيضًا، أمن الممكن أن دورتها الشهرية تقترب؟ لا، لا يزال الوقت مبكرًا، أهذه هي الرغبة الجنسية؟ إن كان الأمر كذلك، ما الذي يمكنها أن تفعله بشأنها؟ لم تكن لديها فكرة، إلا أنها كانت متأكدة من أمر واحد هو أنه ليس ثمة ما يمكن فعله في هذه الظروف، ليس هنا في غرفته وعلى فراشه.

في النهاية، قررت شهرزاد أن تأخذ معها القميص، وفي ذلك مخاطرة بالطبع. على الأرجح أن والدته سوف تكتشف أن ثمة قميص مفقود، حتى إذا لم تدرك أنه سُرق، فسوف تتساءل عن مكانه، أي امرأة تحافظ على منزلها بتلك الطريقة، لابد أنها مهووسة بالنظام من الطراز الأول، عندما تفقد شيء، ستبحث في كل أرجاء المنزل، من أعلى إلى أسفل، مثل كلب بوليسي، حتى تجده. وبلا شك ستكتشف الآثار التي خلفتها شهرزاد في غرفة ابنها الغالي، مع إدراك شهرزاد لهذا كله، لم تطق فراق القميص عدم عقلها الحيلة لإقناع قلبها.

بدلاً عن ذلك، بدأت تفكر في ما ستتركه خلفها. بدا أن سروالها الداخلي أفضل خيار، كان عاديًا وبسيطًا، وجديد نسبيًا، وقد ارتدته ذلك الصباح يمكنها إخفاءه في أقصى ركن من خزانته. هل هنالك شيء ملائم أكثر لتتركه على سبيل التبادل؟ لكن عندما نزعته كان المنفرج رطبًا، قالت لنفسها، أظن أن هذا سببه الرغبة وما

كانت لتترك في غرفته شيئاً ملطخًا بشهوتها، لن تحقق شيئًا سوى الحط من قدر نفسها. ارتدته وبدأت تفكر في شيء آخر لتتركه.

قطعت شهرزاد قصتها ولفترة طويلة لم تقل أي كلمة، استلقت في مكانها تتنفس بهدوء وعينيها مغمضتين. وبجانبها، حذا هابارا حذوها، في انتظارها لتتابع.

أخيراً فتحت عينيها وتحدثت

"سيد هابارا" كانت أول مرة تخاطبه باسمه

نظر هابارا إليها

"أتعتقد أنه يمكننا فعلها مجدداً؟"

قال: "أظنني يمكنني تدبر ذلك"

ثم مارسا الحب مجدداً، إلا أن هذه المرة كانت مختلفة عن سابقاتها كان عنيفًا وشغوفًا واستمر لفترة أطول ، وصولها للذروة في النهاية كان واضحًا للعيان سلسلة من التشنجات العنيفة تركتها ترتعش، وتغير وجهها أيضًا ، بالنسبة لهابارا كان الأمر أشبه بإلقاء نظرة خاطفة على شهرزاد في شبابها، كانت المرأة التي بين ذراعيه الآن فتاة مضطربة في السابعة عشرة من عمرها، أُحتجزت بطريقة ما في جسد ربة منزل في الخامسة والثلاثين ، كان بإمكان هابارا أن يستشعر وجودها بداخلها، عيناها مغمضتان، جسدها يرتعد، تستنشق قميص الفتى المضمخ بالعرق ببراءة.

هذه المرة لم ترو له قصة بعد ممارسة الحب، كما لم تتفقد محتويات الواقي. اضطجعا بجوار بعضهما بهدوء، عيناها مفتوحتان على اتساعهما كانت تحدق في السقف، كثعبان بحر يحدق في سطح الماء المضيء، قال هابارا لنفسه، كم سيكون رائعاً إذا تمكن هو أيضًا من العيش في زمان أو آخر، تاركًا خلفه هذا الكائن

البشري المسمى نوبوتاكا هابارا، ويصبح ثعبان بحر بلا اسم. تصور نفسه وشهرزاد جنباً إلى جنب، ممصاتهما متشبثة بصخرة، ويتموج جسداهما مع التيار أنظارهما تتعلق بالسطح في انتظار سمكة سلمون مرقط كبيرة وهي تسبح متبخترة بجوارهما.

"إذاً، ما الذي تركته بدلاً عن القميص؟" كسر هابارا الصمت

لم تجب على الفور

قالت أخيرًا: "لا شيء، لم تكن أيًا من الأشياء التي كنت أحملها معي تداني في قيمتها ذلك القميص الذي يعبق برائحته، لذلك أخذته وتسللت خارجًا فحسب، عندها أصبحت لصة، بمعنى الكلمة"

بعد إثني عشرة يومًا، عندما عادت شهرزاد إلى منزل الفتى للمرة الرابعة وجدت قفلا جديدًا على الباب الأمامي، التمع لونه الذهبي تحت شمس الظهيرة كما لو أنه يستعرض متانته، ولم يكن ثمة مفتاح مخبأ تحت البساط. من الواضح أن القميص المفقود أثار شكوك والدته، لابد أنها بحثت في كل شبر من المنزل، وقد عثرت على ما اخبرها بأن شيئًا مريبًا يجري في منزلها، لم تخطئ غرائزها وكانت ردة فعلها سريعة.

كانت شهرزاد، بطبيعة الحال، محبطة من هذا التطور، لكنها شعرت بالارتياح في الوقت نفسه، كما لو أن أحدهم وقف خلفها وأزاح عبئاً ثقيلاً عن كاهلها، قالت لنفسها، هذا يعني أنني لست مضطرة لاقتحام منزله. لم يكن ثمة شك أنه إذا لم يتم تغيير القفل، كانت غزواتها لتستمر إلى الأبد وقطعًا كانت أفعالها ستصبح أكثر تطرفًا مع كل زيارة، وفي نهاية المطاف، سوف يداهمها أحد أفراد الأسرة وهي لا تزال في الطابق الأعلى، ولن يكون هناك مجال للهرب ولن يكون لديها ما تقوله لتخرج من ورطتها. هذا هو المستقبل الذي كان ينتظرها، عاجلاً أم آجلاً، وسوف

تكون العواقب كارثية، الآن وقد أفلحت في تجنب كل ذلك، ربما يجدر بها أن تشكر أمه- مع أنها لم تلتق بالمرأة قط- لأن لديها عيني صقر.

كانت شهرزاد تتنشق عبق قميصه في كل ليلة قبل أن تخلد إلى النوم وتنام والقميص إلى جوارها، وتطويه داخل صحيفة وتخبئه قبل مغادرتها إلى المدرسة في الصباح. وبعد العشاء، تخرجه وتداعبه وتتنشقه، كانت قلقة من أن الرائحة قد تتلاشى بمرور الأيام، لكن ذلك لم يحدث، فرائحة عرقه تخللت قميصه للأبد.

الآن وبما أن الاقتحامات لم تعد خيارًا متاحًا، بدأت حالة شهرزاد العقلية تعود للوضع الطبيعي ببطء، لم تعد تغرق في أحلام اليقظة في الصف كثيرًا كما في السابق، وبدأت كلمات الأستاذ تجد طريقها إلى أذنيها، إلا أن جلّ تركيزها لم يكن مع صوت الأستاذ، بل على سلوك زميلها بالصف، ظلت تراقبه خلسة، محاولةً رصد أي تغيير، أي إشارة تدل على توتره من شيء ما، لكن سلوكه ظل كما كان دومًا، يضحك بعفويته المعتادة، وإذا سُئل يجيب على الفور، يتعرق ويصيح بصخب في تمارين كرة القدم كالمعتاد، لم تلاحظ أي أثر لأي شيء غير عادي- مجرد شاب مستقيم يعيش حياة هانئة.

مع ذلك، كانت شهرزاد تعلم أن ثمة جانب مظلم منه، أو شيئًا قريبًا من ذلك لا أحد يعلم على الأرجح، هي فقط (وعندما تفكر بالأمر، ربما أمه) في تسللها الثالث عثرت مصادفة على مجلات إباحية مخبأة بدهاء في أبعد أركان خزانته كانت تعج بصور نساء عاريات يباعدن ما بين سيقانهن ويقدمن مناظر سخية لأعضائهن. بعض الصور تعرض أفعالاً جنسية في أكثر الوضعيات شذوذاً، لم تقع عينا شهرزاد على صور كتلك من قبل جلست إلى مكتبه وتصفحت المجلات بأناة

خمنت أنه يستمني أثناء مشاهدته لها، بيد أن هذه الفكرة لم تخطر لها كشيء منفر، تقبلت الاستمناء كنشاط طبيعي تمامًا، كل تلك السوائل يجب أن تذهب إلى مكان ما، كما يتعين على الفتيات أن تأتيهن الدورة الشهرية. بعبارة أخرى، فقد كان مراهقًا نمطيًا لم يكن بطلاً أو قدسيًا، وجدت في معرفة ذلك شيئاً من الراحة.

"عندما توقفت عن التسلل، بدأ شغفي به يخبو، شيئاً فشيئاً مثل المد الذي ينحسر عن شاطئ طويل ومنحدر، لسبب أو لآخر، وجدت نفسي أتنشق قميصه بصورة أقل، وأمضي وقتًا أقل في مداعبة قلمه وشارته كانت الحمى في طريقها إلى الزوال، فما أصبت به لم يكن ***أشبه*** بمرض بل مرض فعلي وبسببه لم يكن بمقدوري أن أفكر بوضوح. ربما يمر الجميع بفترة جنونية كهذه في وقت ما، أو ربما حدث هذا معي فقط، ماذا عنك؟ هل مررت بتجربة كتلك؟"

جاهد هابارا ليتذكر، لكن دون جدوى، قال:

"لا، ليس بتلك الدرجة، لا اعتقد ذلك"

بدت شهرزاد محبطة نوعًا ما من إجابته

"على أي حال، نسيته تمامًا ما أن تخرجت، نسيته بسرعة وسهولة إلى حد الغرابة، ما الذي كان يميزه بحيث يجعلني وأنا في السابعة عشرة أفقد صوابي؟ بذلت كل ما بوسعي ولم استطع التذكر، الحياة غريبة، أليس كذلك؟ في لحظة تكون مفتونًا بشيء ما حد الجنون، وعلى أهبة الاستعداد للتضحية بأي شيء لتحظى به، ثم يمر بعض الوقت، أو تتغير نظرتك للأشياء بمقدار ضئيل، وفجأة تشعر بالصدمة من مدى تلاشي بريق ذلك الشيء وتتساءل، ما الذي كنت أنظر إليه؟ هذه هي فترة التسلل والاقتحام الخاصة بي"

قال هابارا لنفسه، إنها تجعل الأمر يبدو كفترة بيكاسو الزرقاء، لكنه تفهم ما تريد قوله.

ألقت نظرت ناحية الساعة إلى جوار الفراش، اقترب موعد مغادرتها

قالت: "لأقول لك الحقيقة، القصة لا تنتهي عند هذا الحد. بعد بضع سنوات لاحقًا، عندما كنت في سنتي الثانية بكلية التمريض، جمعتنا إحدى ألاعيب القدر الغريبة مجددًا، ولعبت أمه دورًا كبيرًا في ذلك، في الواقع كان ثمة شيء غريب يكتنف الأمر برمته، كواحدة من قصص الأشباح القديمة تلك، أخذت الأحداث منحىً لا يصدق، أتود سماعها؟"

"أود ذلك"

"من الأفضل أن تنتظر حتى زيارتي المقبلة، يداهمني الوقت، علي الذهاب إلى المنزل و إعداد العشاء."

نهضت من الفراش وارتدت ملابسها - الملابس الداخلية، والجوارب ثم القميص الداخلي، وأخيرًا التنورة والبلوزة، ظل هابارا مسترخيًا في الفراش يراقب تحركاتها خطر له أن الطريقة التي ترتدي بها النساء ملابسهن قد تكون مثيرة للإهتمام أكثر من الطريقة التي يخلعنها بها.

"هل هناك كتب معينة تريدني أن أحضرها؟" سألت في طريقها نحو الباب

"لا، ليس هناك ما أفكر به" أجاب ، ما أراده حقاً، قال لنفسه، هو أن تخبره ببقية قصتها، لكنه لم يعبر عن مراده بالكلمات، فبذلك قد يخاطر بفرصة سماعها إلى الأبد.

أوى هابارا إلى الفراش مبكرًا تلك الليلة، وأخذ يفكر بشهرزاد، ربما لن يراها مجددًا، أقلقه ذلك، كان هذا الاحتمال واقعيًا جدًا، لا يجمعهما شيء ذو طبيعة شخصية، لا تعهد، ولا تفاهم ضمني، كانت علاقتهما عابرة أنشأها شخص آخر وقد يتم إنهاءها بنزوة عابرة من ذلك الشخص، أي أن ما يربطهما خيط رفيع وعلى الأرجح، بل من المؤكد، أن ذلك الخيط سينقطع في نهاية المطاف، وسوف يخسر كل الحكايات الغريبة التي كان من الممكن أن ترويها له، كانت مسألة وقت ليس إلا.

كما كان من الممكن أيضًا- في مرحلة ما- أن يفقد حريته تمامًا، وفي هذه الحال ليست شهرزاد فقط، بل ستختفي كل النساء من حياته، لن يتمكن ثانية من ولوج دفء ونداوة أجسادهن، ولن يشعر بهن وهن يرتعشن من النشوة. وربما يكون الاحتمال الأكثر قتامة من انقطاع النشاط الجنسي، هو فقدان لحظات الحميمية المشتركة، ما كان يقدمه له الوقت الذي يمضيه مع النساء هو الفرصة للانغماس في الواقع من ناحية وإنكاره تمامًا من ناحية أخرى، وهو ما كانت شهرزاد توفره له بسخاء من معين موهبتها الذي لا ينضب، احتمال فقدان كل هذا جعله أكثر حزنًا.

أغمض هابارا عينيه وتوقف عن التفكير بشهرزاد. بدلاً عن ذلك، أخذ يفكر بثعابين البحر، التي ليس لها فكوك، متشبثة بالصخور، تختبئ بين أعشاب الماء تتأرجح جيئة وذهابًا مع التيار. تخيل أنه واحد منها، في انتظار سمكة سلمون

مرقط لتمر، لكن لم تمر أي سمكة سلمون، مع طول انتظاره، لا سلمونا سمينًا أو نحيلاً، ما من سلمون إطلاقا. وفي النهاية غربت الشمس واكتنف الظلام عالمه.

فهرس

مسافر الصُدف 2

قرد شيناغاوا 27

فتاة عيد الميلاد 57

طائر الغطـاس 74

الحجر ذو شكل الكلية الذي يتحرك يومياً 84

سائق التاكسي مصاص الدماء 109

شهرزاد 118

هاروكي موراكامي

(باليابانية: 村上春樹 موراكامي هاروكي)

(مواليد 12 يناير 1949)

هو كاتب ياباني من مدينة كيوتو.

لاقت أعماله نجاح باهرًا حيث تصدرت قوائم أفضل الكتب مبيعًا سواء على الصعيد المحلي أو العالمي وترجمت إلى أكثر من 50 لغة. حصل موراكامي أيضًا على عدة جوائز أدبية عالمية منها **جائزة عالم الفنتازيا** (2006) و**جائزة فرانك أوكونور العالمية للقصة القصيرة** (2006) و**جائزة فرانز كافكا** (2006) و**جائزة جائزة القدس** (2009).

من أبرز أعماله رواية مطاردة الخراف الجامحة (1982) والغابة النرويجية (1987) وكافكا على الشاطئ (2002) وإبتشي كيو هاتشي يون (2009 - 2010).

يظهر تأثر موراكامي بالكتاب الغربيين، مثل رايموند تشاندلر و كورت فونيجت، واضحًا بشكل جلي، الأمر الذي دفع بعض المؤسسات الأدبية اليابانية لانتقاد بعض أعماله لبُعدها عن المنهج الأدبي الياباني. غالبًا ما تتسم أعمال موراكامي بالسريالية والسوداوية والقذرية، كما تتناول معظم رواياته موضوع الانسلاخ الاجتماعي والوحدة والأحلام.

يُعد موراكامي من أهم رموز أدب ما بعد الحداثة. كما وصفته مجلة الغارديان بأنه "أحد أعظم الروائيين في يومنا هذا" بسبب أعماله وإنجازاته.